

6 me Année, No. 273

Lundi - 26 - 9 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة

ص

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٧٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ شعبان سنة ١٣٥٧ — ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

بين الديمقراطية والدكتاتورية

أسبوع محموم ...

لم يَعُد الناس فى هذه الأيام ناساً لهم دين ومدنية وفلسفة ، وإنما عادوا كما بدأهم الله أصحاب غلبة وأثرة وبغى ؛ يتخاطبون بلغة القوة ، ويتجادلون بمنطق الذئب ، ويتصاولون بعصبية الجاهلية ، ويسرف عليهم الطغيان فينزلون عن نفوسهم المريدة ليكونوا قطعاناً من البهم تسوقهم عصا واحدة إلى المزرعة أو إلى المجزرة ! !

ها هو ذا إنسان القرن العشرين ينسى أنه تقدم حتى جاوز حدود الغيب ، وارتقى حتى بلغ أسباب السماء ، وتعلم حتى هتك أسرار الكون ، وتهذب حتى تخلق أخلاق الملائكة ؛ ينسى ذلك ويعود فيقف على الصخرة الصماء التى هبط عليها أبواه من الجنة ، عارى الجسم من زينة المدنية ، فارغ النفس من كرم الدين ، مجرد العاطفة من جمال الأدب ؛ ينظر إلى فريسته الدامية وفوه يتحلب ريقاً ، ورمحه يقطر دماً ، وأشباهه من حوله بين مطعون يتوجع ، وموهون يتضرع ، وموتور يتوعد ! !

وقف الحاكم بأمره على منصة هائلة يحملها سبعون مليون

رأس ، ونظر بعين النسر إلى فرائسه السمان وهن آمنات فى حمى القوانين ، غافلات فى ظلال المعاهدات ؛ فثارت الشهوة فى نفسه ، وعصفت القوة فى رأسه ، وزأر زئير الأسد المسعور ، وفغر فاه الجهنمى الأهرت عن وسائل المنايا الحمر والسود تضطرب فى لعابه ، وتصطخب على أنيابه ؛ فجزعت البشرية ، وريعت الديمقراطية ، وخنست المدنية ، وخرست عصبة الأمم ، ووقفت حجج تشمبرلن أمام رغبات هتلر موقف المضخة الصغيرة أمام الحريق المهول ، وأصبح العالم كله لأول مرة فى تاريخ حياته يهذى فى جهاته الأربع هذياناً واحداً من حمى واحدة : هى إعلان الحرب ، وويلات الحرب ، ونتائج الحرب !

إذن لم يبق لعلاج ابن آدم حيلة ! فشرائع الله ، ومذاهب الحكماء ، ومراشد العقول ، ومناهج التربية ، لا تجد سبيلها إلى قلبه إلا حين تسكن الطبيعة فيه ؛ فإذا ثارت به لسبب من الأسباب كان حاله كحال العواصف والزلازل والفيضانات والبراكين لا تعرف الأرصاد ولا المقاييس ولا الحواجز . وحينئذ لا ترى الشطئان الجميلة ، ولا الأودية الممرعة ، ولا المدن الفخمة ، ولا الحضارة الرائعة !

منذ أسبوع تحركت طبيعة الإنسان الأصيلة فى الدولتين الدكتاتوريتين على حين غرة فوقع العالم كله فى بحران من القلق على حضارته وسلامته ؛ وحاول الكتاب بالبلاغة والحكمة ، والساسة بالمنطق والحيلة ، أن يدفعوا وقوع الكارثة ، أو يؤخروا يوم القيامة ، فما رجعوا بطائل . ولم يكن ذلك لأن الخلاف بين برلين وبراغ لا يدخل فى نفوذ العقل ، وإنما كان لأن الذئب متى صمم على افتراس الحمل بطل كل دليل وأبدعت كل حجة . وإذا انفجر البركان ودوّت حُمَمُه وسال حميمه ، فمن ذا الذى يقول للطبيعة : رويدك يا أَمَةَ الله ! إن على السفوح وفوق السهول ملايين من عباد الله لهم حق الحياة وليس عليهم أن يموتوا ليتنفس ثلكان من ضيقه فى السماء ، ويشتفى من غليله على الأرض ؟

هذه أزهار الشباب الغضة فى أوربا الجميلة تُنظم عقوداً وأكاليل لتذويها سموم الحرب فى غير ذِياد عن حرمة حق ، ولا جهاد فى سبيل مبدأ . فهل درى هتلر وصاحبه أن كل زهرة من هذه الزهرات بهجة بيت وسعادة أسرة ؟

إن السلام العالمى يحتضر الآن بين قرع النواقيس وصلاة الرهبان ودعاء الآباء وبكاء الأمهات ، والفكر الإنسانى ينظر خزيان إلى كبره وهو يتطامن ، وإلى جهده وهو ينهار . فهل استطاع حماة السلم وأساته أن يحفظوه ومن ورائهم كل حى يطلب الحياة ، وكل ضعيف يرهب الموت ، وكل فتاة تنشد الحب ، وكل أم تلعن الحرب ، وكل رافه يريد الطمأنينة ؟ ماذا يصنع الطب إذا انتشر الوباء ، وماذا ينفع الكوخ إذا عصفت الأنواء ، وماذا تغنى المذاهب والقوانين والنظم إذا عارضت هوى الطبيعة ؟

لا جرم أن الحرب سلاح من أسلحة الطبيعة تدرأ به عن نفسها الفضول والخمود والوهن ؛ فهى نوع من التشذيب والتطهير والتنقية تصلح عليه الدنيا ، ويتجدد به الوجود . والديمقراطية نظام من نظم الناس أقاموه على الحرية والمساواة ، ودعموه بالفلسفة والقانون ، ونشروه بالأدب والفن ، وقرنوه بالسلام والأمن ؛ وفى كل أولئك كفكفة لسلطان الطبيعة ، فهى تحارب به بضده كما تحارب الحياة بالموت ، والخير بالشر ، والجِدَّة بالبلى ، فتسلط عليه الطغيان المطلق فى بعض الأمم ، فيخضد من شوكته ، ويقال من هيبته ، حتى يشكك الناس فى أثره وغناه . فالدكتاتورية إذن هى نكسة الداء الحيوانى فى الإنسان المهذب . تعود به إلى حمى الشهوة وكَلَب الوحشية فلا يفهم غير لغة السباع ، ولا يخرج من النزاع إلا بالصراع

فمن زعم أن السلم العالمى تحفظه عصبة الأمم أو تحالف الدول أو تقدم الحضارة ، فقد أحسن الظن بالإنسان إلى حد الغفلة ، وأساء الفهم للطبيعة إلى حد الجهالة . إنما يحفظ السلام السلاحُ الإيجابى وهو القوة . وهذا السلام لا يمكن أن يكون إلا نسبياً ووقتياً بالضرورة ؛ فإن القوى إذا تكافأت تساقطت ، وإذا تفاوتت كان هناك الآكل والمأكول والغانم والغارم . وهكذا قضى الله على الحياة أن تكون دُولة بين الفساد والكون : تبنى جانباً بهدم جانب ، وتوجد حيا من عدم حى ، وترفع دولة على أنقاض دولة . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض .

أحمد حسن الزيات

في الطريق الى مؤتمر المستشرقين

من القاهرة الى بروكسل

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ٣ —

بنيتي العزيزة مية

لم أجد قبل اليوم فراغاً لأحدثك عن مشاهدي في السفر إلى بروكسل، ولولا وعد سبق في رسالتي إلى بثينة لوجدت من مشاغلي عذراً وأخرت الكتابة حيناً

بلغنا جنوة ظهر الأحد ٢٥ جمادى الآخرة (٢١ أغسطس) فبدت المدينة مطلة على خليجها بين أمواج البحر وقمة الجبل. وما راقني مرآها ولا راعني، ولكني حينما دخلتها رأيت مدينة نظيفة الأبنية فسيحة الطرق رفيعة الأبنية يلفت الوافد إليها ضخامة البناء ورفعته، لها على البحر شارع طويل تفضي إليه شوارع أخرى ذات بهاء وضخامة

ولن أحدثك عن شيء في هذه المدينة إلا شيئاً واحداً لا يخطر ببالك أني أحدثك عنه: سمعنا ونحن على الباخرة أن مقبرة جنوة ومقبرة ميلانو جديرتان بالزيارة، ثم نزلنا إلى المدينة مزمعين أن نبيت بها لنستجم ونستعد للمرحلة الثانية. وغادرنا الفندق في العشي نجول في الأرجاء، وبدا لنا أن نسأل عن طريق المقبرة.

ثم عن لنا أن نركب تراما فنذهب معه إلي منتهى مسيره لنرى بعض جوانب البلد! ركبنا فسألنا العامل: إلى أين؟ قلنا: إلى نهاية الطريق. وبلغ الترام أطراف البلد وما زال حافلا بالراكبين. فقلنا: إن للمكان الذي نسير اليه لشأناً. وإلا فما بال الناس لاينزلون وقد أوشكنا أن نخرج من عمران المدينة؟ ثم بلغ الترام غايته، فاذا الناس يتجهون وجهة واحدة يؤمون باباً رفيعاً واسعاً. قلنا: أتراها مقبرة المدينة؟ ورأينا على جانبي الطريق باعة الأزهار، وأبصرنا كثيراً من الداخلين يحملون طاقات من الزهر فغلب على ظننا أنها المقبرة. ثم ولجنا الباب فاذا هالات من الأزهار مسندة إلى الجدار، ثم ولجنا باباً آخر فاذا مدينة الأموات: ماذا عسى أن أصف من مقبرة جنوة الهائلة؟ أصف لك بعض ما وعيت منها، والذي وعيته بعض ما رأيت. ولم أر المقبرة كلها..

هناك جبل عال بنيت المقبرة في حضيضه وسفحه؛ في الحضيض ساحتان متصلتان بينهما جدار، يحيط بكل ساحة منهما أروقة عالية سميكة الجدر رفيعة العمد. فأما الساحة فقد نظمت فيها صفوف كثيرة من القبور تحنو عليها الأشجار وتعطف عليها الرياحين — قبور بيضاء تختلف أشكالها وما عليها من تماثيل وصور، ويجمعها معنى واحد هو الفناء، بل معنيان: الموت الهامد تحتها، والحسرات المرفرفة فوقها.

وأما الأروقة ففي أرضها بلاطات نقشت عليها أسماء وتواريخ دلت على أن تحتها أجساما وتواريخ، وفي صدرها صفوف من النواويس الحجرية تتخلل الجدران بعضها فوق بعض، قد انطبقت على أسرارها ونطقت بمواعظها وعبرها؛ وبجانب الجدران نواويس أخرى من الرخام والمرمر افتن النحاتون في تشكيلها ونقشها وإقامة التماثيل عليها — تماثيل الموتى والقديسين والملائكة، وتماثيل لآمال الناس وآلامهم على ظهر هذه الأرض بين المولد والممات. وكأنما يمشي الزائر في متحف ازدحمت فيه التماثيل والصور وبدائع الفنون. وإلى هذا وذاك قناديل معلقة تبص فيها الفتائل أو فوانيس صغيرة يخفق فيها الشمع: مناظر إذا تقصاها المعتبر أو اللاهي أمضى نهاره دون أن يحصيها

فاذا صعد الزائر على السفح وجد قبوراً أضخم أو حجراً تلوح من أبوابها القبور والتماثيل، أو دهاليز نظمت فيها قبور وهياكل وكنائس في أطراف هذه الصفوف؛ ثم إذا صعد رأى نظاماً آخر من القبور والفنون حتى يمل أو يتعب فيهبط وهو يصعد الطرف في هذا الجلال والجمال ويرجع أدراجه إلى الحضيض ويعود إلى طريقته في الساحة أو تحت الأروقة حتى يخرج وهو يتلفت ليتزود من هذا الجمال في الموت والبقاء في الفناء

جلنا في المقبرة تسير أفكارنا أكثر مما تسير أرجلنا، وتتلفت قلوبنا أكثر مما تتلفت عيوننا. خرجت قائلا: ليت شعري أهنا موت أم حياة؟

وأصبحنا يوم الاثنين مبكرين إلى المحطة فركبنا القطار إلى ميلانو نجتاز طريقاً أخضر ممرعاً كثير الزرع والشجر والعشب حتى بلغنا المدينة بعد ثلاث ساعات

نزلنا بميلانو فأمضينا بقية النهار نجول فى أرجائها ، ولم نر من مشاهدها العظيمة القديمة إلا الكنيسة الكبرى ، وهى من عجائب الأبنية تبدو فى حلة من الرخام لم تعطل قطعة فيه من نقش أو صورة أو تمثال، وتبدو شرفاتها ومناراتها فى صنعة لطيفة دقيقة كأنما يستقبل رائيها دوحة من الرخام . وليس باطن الكنيسة أقل فخامة ورونقاً من ظاهرها ، وهى فيما سمعت من آثار القرن الخامس عشر . برحنا ميلانو صباح الثلاثاء نؤم سويسرة ، فلما أجزنا حدودها أحسسنا تغير الأرض شيئاً فشيئاً حتى تغلغلنا فى مناظرها الساحرة الرائعة : أودية وبحيرات تطل عليها جبال شاهقة ترقى العين فيها معجبة بالخضرة الناضرة على سفوحها ، ثم ترقى فترى الجبل قد انتطق بالسحاب وأوفت قمته عليه ، أو ترى القمة قد تغلغلت فى السحب فاختفت فيها ، وترى زرقة السماء بين السحب وذرى الجبال كزرقة البحيرات فى الحضيض فتُسِفّ العين متمهلة على السفح كأنها تشفق أن تزل إلى الأودية العميقة والبحيرات ، حتى تبلغ الماء وكأنما عادت به إلى صفاء السماء وزرقتها . وترى الماء مندفقاً على السفح فاذا حاولت أن تمرقى أوله رأيته هابطاً من السحاب كأن السحاب يسيل أنهاراً لا أمطاراً

وقصارى القول فى هذا الجمال الهائل أنه صلة السماء بالأرض ، وأنه حيرة الطرف ، ومتعة النفس ، وروعة القلب، ومسرح الفكر، وتجلّى الخالق فى جمال خليقته وجلالها فى مشاهد لا ينتهى أولها إلى آخر .

ما أعجب هذا مجالا لشاعر مُلهَم أو كاتب مبين لو اتسع الوقت وأمهل السفر وانفرجت المشاغل عن ساعة يستملى فيها القلم الوجدان والخيال !

بلغنا لوسرن فى ثلاث ساعات .

ولعلى أصل الحديث من بعد ، وإن لم أجد فراغا للتفصيل والتطويل لأجمله حديثاً ممتعاً شائقاً .

تحيتى ودعائى لك وللأخوات والأسرة كلها

« بروكسل ٩ سبتمبر سنة ١٩٣٨ » عبد الوهاب عزام

على هامش أبحاث التيسير

ملاحظات انتقادية

على قواعد اللغة العربية

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى بك

مدير دار الآثار العراقية

— ٢ —

أبحاث العلامات

إن سلسلة « قواعد اللغة العربية » تحتوي — فى أقسامها الثانوية — على عدة أبحاث فى « العلامات » ، فتذكر سلسلة طويلة من « العلامات » التى « تميز » كلاً من الاسم والفعل والحرف ، كما تشرح العلامات التى تميز كلاً من الماضى والمضارع والأمر .

وتذكر تسع علامات للاسم ، وخمس علامات للفعل بوجه عام ، وعلامتين لكل من الماضى والمضارع والأمر بوجه خاص ؛ وأما فيما يخص « الحرف » فانها تقول فى صدده « ليس للحرف علامات تميزه ، فعلامته ألا يقبل شيئا من علامات الاسم والفعل »

إنها تعتبر — مثلا — « قبول التنوين من علامات الاسم » « وقبول ضمير الرفع المتصل » من علامات الفعل ، « وقبول تاء التأنيث الساكنة » من علامات الفعل الماضى ، و« صحة الوقوع بعد لم » من علامات فعل المضارع ..

كل من ينظر فى هذه الأبحاث ، نظرة فاحصة عارية عن تأثير الألفة المخدرة ، يضطر إلى التسليم بأنها خالية من الفائدة ، ومخالفة للمنطق فى وقت واحد . .

من الأمور البديهية أن مفهوم « ضمير الرفع المتصل » الذى يلحق الفعل — مثلا — أعقد بطبيعة الحال من مفهوم « الفعل » نفسه ، ومعرفته أصعب من معرفة الفعل بدرجات ؛ فلا يجوز أن نعتبره واسطة لتمييز الفعل من غيره من الكلمات بوجه من الوجوه ؛ ولا سيما أن « قبول أو عدم قبول ضمير الرفع المتصل » ليس من الأمور التى يمكن معرفتها رأساً واختبارها مباشرة . فاعتبار « القبول أو عدم القبول » علامة للفعلية أو عدم الفعلية

يخالف أبسط قواعد المنطق مخالفة كلية ..

كذلك الأمر في سائر العلامات . فأعتقد أنه يتحتم حذف جميع الأبحاث المتعلقة بالعلامات التي ذكرناها آنفاً ، على أن يفرغ البعض منها على « شكل قاعدة » يتعلمها الأطفال : « للعمل » لا « للتمييز » :

لا يجوز لنا أن نقول : «دخول قد على الكلمة يدل على أنها فعل » ، بل يجب علينا أن نقول : « لفظة قد لا تدخل إلا على الأفعال » ..

لا يجوز لنا أن نقول : «صحة وقوع الكلمة بعد لم تدل على أنها فعل مضارع » ، بل يجب أن نقول : « إن لفظة لم تدل على النفي ؛ غير أنها لا تستعمل إلا في المضارع ؛ فيجوز أن يقال لم يكتب ، ولا يجوز أن يقال لم كتب » .

وبهذه الصورة تتحول هذه الأبحاث إلى قواعد عملية مفيدة . وأما الاستمرار على استعراض الأمور التي ذكرناها آنفاً كعلامات تساعد على تمييز أنواع الكلمات فهو بمثابة الخروج على المنطق بصورة صريحة ..

أما دخول مثل هذه الأبحاث في كتب القواعد ، بالرغم من مخالفتها الصريحة للمنطق ، فأعتقد أنه لا يمكن أن يعلل إلا بالرجوع إلى السبب الأصلي الذي ذكرته آنفا ..

فالأعجمي الذي يتعلم العربية ، دون أن ينشأ عليها ، والذي يستطيع أن يقرأ الكلمات دون أن يفهم معانيها ، قد يستفيد من مثل هذه الأبحاث في تمييز أنواع الكلمات حسب بعض العلامات الظاهرية التي ترافقها ؛ فاذا رأى كلمة لا يعرف معناها ، ولاحظ أنها منونه استطاع أن يقول إنها « من الأسماء لأنها منونة» ، كما أنه إذا رأى كلمة غريبة عنه ولاحظ أنها مسبوقة بلفظة قد ، قال « هذه من الأفعال ، لأنها قبلت دخول لفظة قد عليها »

فاذا جاز لعلماء اللغة القدماء أن يسلكوا هذا المسلك ، متوخين بعض الفوائد العملية التي يستطيع أن يجنيها منها بعض الأعجام .. فلا يجوز لمؤلفي القواعد ومعلمي اللغة في هذا العصر أن يشوشوا الأذهان بمثل هذه الأبحاث الغريبة ..

٤ — تصنيف الكلمات والجمل

قبل أن أختم هذه الملاحظات الانتقادية ، أرى أن ألفت الأنظار إلى مآخذ الخطة التي اعتادها علماء اللغة العربية في أمر تصنيف الجمل والكلمات :

١ — من المعلوم أن الكلمات تقسم — في قواعد اللغة العربية — إلى ثلاثة أنواع : اسم ، وفعل ، وحرف ؛ في حين أنها تقسم في سائر لغات العالم إلى أنواع كثيرة يبلغ عددها ثلاثة أمثال ذلك

فيجدر بنا أن نتساءل — تجاه هذا الفرق العظيم — فيما إذا كان هناك مبررات فعلية وأسباب حقيقية تستوجب التباعد إلى هذا الحد بين العربية وبين سائر اللغات من وجهة تصنيف الكلمات

إذا أنعمنا النظر في المعاني التي يقصدها اللغويون من كلمتي « الاسم والفعل » وجدنا أن علماء العربية يضيّقون « مفهوم الفعل » بعض التضييق ، غير أنهم يوسّعون « مفهوم الاسم » توسيعاً كبيراً ...

إنهم يحددون مفهوم الفعل بحدود ضيقة جداً ، لأنهم لا يرون « الدلالة على الحدث والعمل » كافية لتعريف الفعل ، بل يشترطون فيه « الدلالة على حصول العمل في زمن خاص » ولهذا السبب لا يدخلون المصدر واسم الفاعل واسم المفعول في عداد الأفعال ...

وأما مفهوم الاسم ، فإنهم يوسعونه بدون حساب ، ويدخلون فيه كثيراً من الكلمات التي تعتبر في سائر اللغات أنواعاً قائمة بنفسها . ولا نغالي إذا قلنا إنهم يدخلون في مفهوم الاسم كل ما يبقى خارجاً عن نطاق الفعل والحرف . فالاسم الذي يتصورونه يشبه كشكولا يحتوي على أشياء شتى — من اسم العلم إلى الصفة ، ومن اسم الموصول إلى الضمير ، ومن اسم الاشارة إلى المصدر .. فيصبح من المتعذر على المتعلم أن يكوّن في ذهنه مفهوماً واضحاً عن الاسم ، كما يتعسر على المؤلفين أنفسهم أن يحددوا مفهومه ويعينوا معناه بالدقة التي تتطلبها التعريفات العلمية ..

فاذا استعرضنا التعريفات المسطورة في « كتب قواعد اللغة العربية » الرسمية عن « الاسم » ، وجدناها لم تكن من التعريفات الجامعة المانعة ، وأن الغموض والنقص والارتباك تسودها بكل وضوح وجلاء ...

لأننا نجد في الجزء الثاني — الخاص بالدراسة الابتدائية — التعريف التالي :—

«... اسم لانسان أو حيوان أو نبات أو جماد ...» (ص١) من الأمور البديهية أن هـذا التعريف لا يشمل — من الوجهة المنطقية — الصفات والأعداد ، ويبقى أضيق من أن يتسع للاسم الموصول ولاسم الاشارة بطبيعة الحال ...

وأما فى الجزء الثالث ، فنجد تعريفاً يحاول إكمال التعريف الأول وتصحيحه بقيد جديد : — « الاسم هو الذى يدل على الانسان أو الجماد أو النبات أو الحيوان وغير ذلك ...» (ص ١) ولا حاجة للبيان أن تعبير «وغير ذلك» الذى أضيف إلى التعريف بهـذه الصورة لا يخلو من الغموض ، ولا يحدد الأمر بوجه من الوجوه

وأما إذا راجعنا كتاب الدراسة الثانوية ، فنجد فيه تعريفاً آخر يختلف عن التعريفين السابقين اختلافاً كبيراً :

«الاسم ما دل بنفسه على معنىً تام ليس الزمن جزءاً منه» (ص ١) كما نجد بعد هذا التعريف بعض التفاصيل الايضاحية « ويكون : ١ — لإنسان ... ٢ — و لحيوان... ٣ — ولنبات ٤ — ولجماد ... ٥ — كما يكون لمعنى يفهم ويتصور ولا يحس ، مثل الذكاء ، الحكمة ، الفهم (ص ١)

إننى أعتقد أن هـذا التعريف أيضاً لا يمكن أن يشمل — منطقياً — الضمائر والأسماء الموصولة بالرغم من كثرة المفاهيم المجردة التى تقيّده وتعقّده ...

وتأييداً لذلك ألفت الأنظار إلى الأمثلة المذكورة خلال التفاصيل التى تلى هذا التعريف ، فإنها لا تحتوي على مثال واحد من نوع الضمير واسم الاشارة والاسم الموصول ...

هذا ولا يستطيع أحد أن يدعى بأن كلمات «الذى، ذلك، نا ، كُما ... » تدل على معنى تام قائم بنفسه .. كما أنه ليس فى وسع أحد أن يسلم بأن الزمان ليس جزءاً من مدلول كلمات «الماضى، الآنى ، الأمس ، السنة ، الشتاء ، أسرع ، أقدم ... »

يظهر جليا من جميع هـذه الملاحظات أن علماء اللغة لم يوفقوا لإيجاد تعريف يشمل جميع الكلمات التى اعتبروها من أقسام الأسماء ...

فليس من المعقول إذن أن نبقى متمسكين بهـذا التقسيم القديم ؛ بل من الأوفق أن نعيد النظر فيـه على أساس تكثير أنواع الكلمات ، أسوة بما يفعله لغويو العالم ... ولاشك فى أن ذلك يكون أقرب إلى مقتضيات العقل والمنطق، وأضمن لتسهيل التفهيم والتعليم

أنا لا أحاول وضع خطة تفصيلية لهذا التقسيم الجديد ، بل أكتفى ببيان الحاجة إليه ، وأذكر بعض الأمثلة لتوضيح رأيى فى هذا الأمر وتأييده ..

(١) إن معنى الاسم — فى حد ذاته — يختلف عن معنى الصفة اختلافاً بيناً ؛ لأن الاسم يدل — عادة — على الأشياء نفسها ، فى حين أن الصفة تدل على أوصاف الأشياء وحالاتها . والصفات تقوم بأدوار مهمة فى الحديث والكتابة تختلف عن أدوار الأسماء الاعتيادية اختلافاً كبيراً . فلا مبرر لاعتبار الاسم والصفة من نوع واحد خلافاً للخطة المتبعة فى تصنيف الكلمات فى سائر اللغات

ومما يجب أن يلاحظ فى هذا الصدد أن الاسم والصفة يختلفان فى اللغة العربية من وجهة بعض القواعد أيضاً : — فان الاسم — بالمعنى الخاص الذى أشرنا إليه آنفاً — يكون مذكر أو مؤنثاً فى حد ذاته ، وأما الصفة فلا تكون مذكرة أو مؤنثة فى ذاتها ؛ بل تقبل التذكير والتأنيث بطبيعتها ، فتذكر أو تؤنث حسب جنس الأسماء التى تصفها ...

أعتقد أن هـذه الملاحظات كافية لاعتبار « الصفة » قسما خاصاً من أقسام الـكلام مستقلا عن الاسم ؛ ولا أشك فى أن ذلك يكون أوفق وأقرب لمقتضيات العلم والتعليم في وقت واحد

(ب) إن مدلول الضمير أيضاً يختلف عن مدلول الاسم الاعتيادى اختلافاً واضحاً ، ولا سيما الضمائر المتصلة ، فانها تتباعد عن مدلول الأسماء تباعداً كلياً

فاذا احتفظنا بمبدأ تقسيم الاسم إلى ثلاثة أقسام ، وفكرنا فى القسم الذى يجب أن يدخل فيه « المتصل » من الضمائر وجدنا أنه أقرب إلى مدلول الحرف من مدلول الاسم . وما دمنا نعرف الاسم بقولنا « كلمة تدل بنفسها على معنى تام » ونعرّف الحرف بقولنا « كلمة لا يظهر معناها إلا إذا ذكرت مع غيرها ... » فلا نستطيع أن ندخل الضمير المتصل — دون أن نخرج عن

جادة المنطق — فى عداد الأسماء ، بل نضطر إلى اعتباره من جملة الحروف ...

ومهما استرسلنا فى سلوك طرق التأويل الملتوية ، لانستطيع أن نجد مبرراً منطقياً لاعتبار لفظة « نا » من الأسماء مع اعتبار لفظة « لا » من الحروف ، أو « ها » من الأسماء مع اعتبار « ما » من الحروف ...

وإذا استعرضنا بعض التعبيرات المتداولة مثل « عنهُ، منكَ فينا ، بها ، لكم ..» وأنعمنا النظر فى مدلول كل جزء من جزءى هذه التعبيرات على ضوء التعريفات الموضوعة لكل من « الاسم والحرف » لا نستطيع أن نجد أدلة منطقية على أن الجزء الأول منها : (عن ، من ، فى ، بِ ، لَ) يجب أن يعتبر من جملة الحروف ، والجزء الثانى منها : (هُ ، كَ ، نا ، ها ، كم) يجب أن يعتبر من الأسماء ...

فمن الأوفق — من جميع الوجوه — أن نعتبر الضمير قسما مستقلا من أقسام الكلام ، لا نوعاً من أنواع الاسم

٢ — من المعلوم أن علماء اللغة يحصرون الفعل فى الماضى والمضارع والأمر ، لأنهم يعرّفونه بقولهم : «مايدل على حصول عمل وحدث فى زمن خاص » ويدعون أن اسم الفاعل لا يتضمن « الحدوث فى زمن خاص » فى حين أن الأمر يعنى « طلب العمل بعد زمن التكلم »

إننى أرى فى كل ذلك شيئاً من الجبر لطبائع الكلمات ، لأن الأمر يدل — فى حقيقة الحال — على « طلب العمل » فقط ، ولا يدل على زمان العمل مباشرة

لاشك فى أن «الأمر» لايمكن أن يعود إلى الماضى ، والمأمور لا يمكن أن يعمل العمل الذى يؤمر به إلا بعد تلقيه ، فيجوز لنا أن نقول بهذا الاعتبار: «إن الأمر يعود إلى المستقبل بطبيعة الحال»

غير أنه يجب أن نلاحظ على الدوام أن المعانى التى يستدل عليها من الكلمات والعبارات بنتيجة المحاكات الذهنية شىء ، والمعانى التى نفهمها منها مباشرة شىء آخر .

وإلا فاذا أردنا أن نسترسل فى المحاكات والتفسيرات استطعنا أن ندعى أن اسم الفاعل أيضا لا يخلو من فكرة الزمن ، كما أن اسم المفعول لايختلف عنه فى هذا الباب . فعندما يقال لنا « الطائر مجروح » نستدل من كلمة مجروح أن الطائر جرح قبلاً ، وأن آثار الجرح لاتزال ظاهرة عليه . وعندما يقال لنا : « فلان نائم» نفهم من كلمة نائم أنه نام قبلاً ، ولا يزال فى حالة النوم . وعندما يقال لنا : « أنا ذاهب » نفهم من كلمة ذهب أن القائل يتأهب للذهاب

ومن الغريب أن علماء اللغة العربية الذين يتناسون هذه الحقائق الواضحة يسترسلون في تأويلات غريبة لأظهار معانى الأزمنة المندمجة فى أسماء الأفعال ، فيقولون مثلا : « آه» اسم فعل مضارع بمعنى « أتألم » . و « هيهات » اسم فعل ماض بمعنى « بَعُد » . و « هلمَّ » اسم فعل أمر بمعنى « أقبِل » ..

كل من يدم النظر فى هذه التعريفات والتقسيمات والتفسيرات الملتوية دون أن يبقى تحت تأثير الألفة المخدِّرة ، يضطر إلى التسليم بأن كل ذلك يحتاج إلى التبديل والتصحيح ، ويتطلب البحث عن تعريفات وتقسيمات جديدة

٣ — من المعلوم أن الجملة تقسم إلى نوعين : فعلية وأسمية . ولكننا عند ما ننظر إلى الأمور نظرة منطقية ، يجب أن نفهم من تعبير « جملة فعلية » الجملة التى تحتوي على فعل ، وبتعبير آخر : الجملة التى تعلمنا ما حدث وما يحدث ؛ كما يجب أن نفهم من تعبير « جملة اسمية » الجملة التى لاتحتوى على فعل ؛ وبتعبير آخر : الجملة التى تخبرنا عن أوصاف اسم من الأسماء وحالاته

غير أن قواعد اللغة العربية لا تلتزم هذه التعريفات والمفهومات المنطقية ، بل تخالفها مخالفة كلية :

فانها تعتبر الجملة «فعلية » عند ما تبتدئ بفعل ، و «اسمية» عند ما تبتدئ باسم . ومعنى ذلك :— أنها لا نصنف الجمل حسب أنواع الكلمات التى تتألف منها ، بل تصنفها حسب نوع الكلمة التى تبتدئ بها دون أن تلتفت إلى بقية كلماتها

ونظراً لهذه القواعد الرسمية فان عبارة « نام الولد » يجب أن تعتبر جملة فعلية ، فى حين أن عبارة « الولد نام » يجب أن تعتبر جملة اسمية ، مع أن كلتيهما تتألفان من نفس الكلمات ، وتؤديان إلى نفس المعنى

إننى أعتقد أن تقسيم الجملة على هذا النمط الغريب نتيجة

خطأ منطقي، وقع فيه علماء اللغة - في عصور التدوين الأولى - بسبب اهتمامهم بالأوصاف الظاهرة أكثر من تفكيرهم في المعاني المفهومة .. كما شرحنا ذلك آنفاً.

وأما استمرار المؤلفين المعاصرين على التزام هذه الخطة العجيبة، فلم أجد سبيلا إلى تعليله إلا بتأثير «الألفة المخدرة» ونزعة التفادي من الخروج على التعاريف والتصانيف القديمة . .

ومما يجب أن نلاحظه في هذا الباب أن هناك أمراً آخر يزيد في غرابة نتائج هذين التعريفين، ويوسع المسافة بين المنطق والقواعد:

لقد عرّف علماء اللغة «الفاعل» — تحت تأثير النزعة التي ذكرناها آنفا — بقولهم: «اسم مرفوع يتقدمه فعل» .. فاذا تقدم الاسم على الفعل لايترتب على ذلك — في عرفهم — تحول الجملة من فعلية إلى اسمية فحسب، بل يترتب على ذلك خروج الاسم من الفاعلية أيضاً. فعندما يقال «الولد نام» لا يرون مسوغاً لاعتبار كلمة الولد فاعلاً، نظراً لمخالفة ذلك للتعريفات التي وضعوها ...

وبما أن هناك «فعلا» يتطلب فاعلاً، فانهم يلتجئون إلى طرق التأويل الملتوية، فيقولون إن الفاعل لهذا الفعل ضمير مستتر، وأما الولد فما هو إلا مرجع هذا الضمير المستتر. وبتعبير آخر: يدعون إن الفاعل ليس «الولد» المذكور صراحة، وإنما هو ضمير مستتر يعود إلى الاسمِ المذكور ..

إنني أعتقد أن الانسان لو قصد التعقيد والتشويش لغرض من الأغراض، لما استطاع أن يجد طريقة تصنيف وتفسير أكثر اعوجاجاً وأشد غرابة من تلك ...

ألم يحن بعد وقت الاقدام على التخلص من هذه المسالك الملتوية والرجوع إلى طرق المنطق والصواب؟

الخلاصة

إن الأمثلة الانتقادية التي استعرضتها في الأبحاث السالفة تبين بكل وضوح وجلاء أن «قواعد اللغة العربية» الرسمية مشوبة بنقائص كثيرة، من حيث الخطط المتبعة في التعريف والتصنيف والتبويب ...

وأما الأسباب المولدة لهذه النقائص والشوائب، فتتلخص في تأثير نزعة أساسية، هي نزعة الاهتمام بالاعراب أكثر من الالتفات إلى المعنى، والاعتماد على العلامات المحسوسة أكثر من الاستناد إلى المعاني المفهومة

هذه النزعة نشأت من الظروف الخاصة التي أحاطت بعلوم اللغة العربية في أدوار تكوينها الأولى، واستمرت بتأثير «روح المحافظة» التي سيطرت على أذهان علمائها في أدوارها الأخيرة . . وباعدت بين قواعد اللغة وأحكام العقل والمنطق من جهة، وبينها وبين أسس التربية والتعليم من جهة أخرى

ولذلك يجب علينا في موقفنا هذا أن نخرج على هذه النزعة التقليدية، ونعيد النظر في جميع ما ألفناه من أساليب التعريف والتصنيف والتبويب في قواعد اللغة العربية، فنتأمل فيها بنظرة علمية جديدة، مراعين مقتضيات العقل والمنطق من جهة، ومطالب التربية والتعليم من جهة أخرى . . حتى نتخلص على هذا الوجه من أغلاط الاجتهاد والاستنباط التي وقع فيها اللغويون القدماء ...

هذا ما أود أن أدعو إليه العلماء والمؤلفين

أدعوهم إلى إعادة النظر في جميع مباحث الصرف والنحو، بنظرة محايدة خالية من تأثير «الألفة المخدرة» مستنيرين بالطرق المتبعة في سائر اللغات، ومستندين إلى المعاني المفهومة من الجمل والعبارات ...

وأعتقد أن الاصلاح على هذا الوجه يجب أن يكون أول خطوة من خطوات التيسير.

أبو خلدون

الدين والأخلاق

بين الجديد والقديم

لأحد أساطين الأدب الحديث

— ٦ —

لا يدهش أحد إذا عددنا ما يسمى نزعة التجديد نزعة رجعية في أولها، فقد أوضحت أنها في مبادئها كانت رجوعاً إلى مبادىء الشعر العربي القديم من قلة تكلف الصناعة، ومن نظم الشعر بالعاطفة أو ذكري العاطفة بدل نظمه تعمداً بالصنعة، ومن البحث في خواطر النفس وشجونها وأشجانها والتعبير عنها بدل تنميق المعاني المتفق عليها. فلا شك أن شعر الجاهليين وشعر شعراء صدر الاسلام كان أكثر نصيباً من هذه المبادىء من شعر الدولة العباسية، وإن كان لشعر الدولة العباسية روعة وفيه قوة، ولكن أروعه وأقواه ما قارب طريقة الأقدمين وكان أقل تمملا في الصنعة، أو ما كانت صنعته أشبه بالطبيعة.

ولا يدهش أحد إذا وجدنا أن هذه المبادىء يتفق فيها الشعر العربي القديم والشعر الأوربي الصحيح السليم، وأن الصناعات الغريبة في الشعر الأوربي ما ظهرت إلا في عصرنا هذا؛ ولكن كثيراً من أدبائنا الذين لا يعرفون اللغات يحكمون على الشعر الأوربي بشعر شعراء الرمزية أو شعراء الوحي الباطني وأمثالهم، وهي طوائف حديثة في أوروبا كما هي حديثة في مصر، ويغر أدباءنا ما يقع فيه بعض المطلعين على الأدب الأوربي من النقل الحرفي لأساليب الكلام والمصطلحات، ولكل لغة خصائص في المصطلحات وأساليب الكلام إذا نقلت نقلا حرفياً إلى لغة أخرى غدت معاني سخيفة. ومن هنا نشأت فكرة من يقول ان معاني وأخيلة الأدب الأوروبي لا تتفق والذوق العربي.

ولكن مما لا شك فيه أنه بالرغم من اختلاف خصائص العربية والافرنجية، فان الشعر الأوربي قبل أطواره الحديثة كان في مبادئه الأساسية قريباً من الشعر العربي القديم قبل غلبة الصناعة عليه غلبة قضت على تلك المبادىء

ولا يدهش أحد إذا قلت إن كل نهضة تجديد دخلت الأدب والشعر العربي حديثاً كانت نزعة رجعية؛ فنهضة البارودي وشوقي وحافظ وحفني ناصف ومطران (في شعره الحديث) كانت أيضاً نهضة رجعية بدأها الساعاتي وقواها البارودي ومن أتى بعده؛ وهي كانت نهضة رجعية لأنهم رجعوا بالشعر عن طريقة البهاء زهير وابن الفارض والبستي وابن نباتة المصري وابن النحاس وخليل الصفدي: طريقة الجناس الغالب والنكات، إلى طريقة الصنعة العالية القوية صنعة مسلم بن الوليد وأبي تمام وأضرابهما. وترى هذه الرجعية ظاهرة في شمر شوقي أعظم ظهور، فقد بدأ بمدح البهاء زهير في مقدمة الطبعة الأولى القديمة من الشوقيات وأسرف في مدحه. وترى شعر شوقي في صباه مما أثبته في الطبعة القديمة بعضه أشبه بشعر المتأخرين، وأظن أنه حذفه ولم يثبته في الطبعة الحديثة؛ ثم صار شعره يقترب من نسق فطاحل الدولة العباسية أمثال مسلم وأبي تمام والبحتري.

وكان منتهى أرب الشاعر قبل نهضة البارودي وشوقي وحافظ أن يكثر من الجناس وأنواع البديع حتى ليقال إن أحدهم أفنى عمره في صنع قصيدة بديعية كبيرة شحنها بما يقرأ طرداً وعكساً، وما يقرأ من أسفل ومن أعلى، وبالجناس وأنواعه، وأشباهه من المحسنات، فاحتال عليه أصدقاؤه وسرقوها منه فمات كمداً وراح ضحية الطرد والعكس وصريع الجناس. وكان الأدباء إذا أرادوا إن يستجيدوا بيتاً أنشدوا بيت ابن نباتة المصري، ولا أذكر كلماته بالضبط، ولكنه يمدح سلطان مدينة حماه في الشام فيقول: إن (حماه) (المدينة) علمتهم نعمى الممدوح حتى غدا كل منهم يحب (حماته) (أي أم زوجه). هذه هي (مفارقات) النكات العامية المصرية التي كانت تطرب الأدباء. أو قول البهاء زهير لمشوقته إنه دعاها (ست) أي سيدة، لأنها ملكت جهاته (الست)

فرجوع البارودي وشوقي وحافظ إلى عصر أقدم من هذا العصر لابد أن يسمى رجعية، وليست كل رجعية ذميمة.

والنزعة الحديثة إلى التجديد هي في الحقيقة تكملة النزعة الرجعية التي نشطها البارودي، فكانت نزعة التجديد نزعة تفضيل (مبادىء) الشعر العربي الأقدم من العباسي ومن العباسي ما يقارب ذلك الشعر. وقد شرحنا تلك المبادىء. والذي غطي على

هذه الحقيقة أثر الأدب الأوربي ، وفتحه أبواباً جديدة من أبواب القول، وشده أزر الخيال والفكر . وغطى على الحقيقة أكثر من كل ذلك تشعب نزعة التجديد إلى فروع جديدة بعيدة كالرمزية وغيرها .

ولكننا إذا نظرنا إلى هذه الفروع وجدنا أن كلا منها مغالاة في مبدأ من تلك المباديء كما فصلنا في المقال السابق ؛ فالذين يريدون تغليب الوعي الباطن مثلا إنما تفرعوا من مبدأ جعل الشعر بحثاً في صفات النفس وخواطرها وشجونها وأشجانها بدل ترديد معانٍ متفق ومصطلح عليها . ولا شك أن شعراء الجاهلية وصدر الاسلام كانوا ينظمون بالعاطفة أكثر من شعراء الدولة العباسية . ومعنى النظم بالعاطفة البحث في شجون النفس وأشجانها ، فهذه الطائفة في نشأتها كانت رجوعا إلى طريقة الشعر القديم ، وإن كانت قد غالت محاكاة للنزعات الحديثة في الأدب الأوروبي المصري . وبهذه الطريقة نستطيع أن نرد كل طائفة من طوائف وفروع نزعة التجديد إلى أصلين : أصل في الأدب العربي القديم غالت فيه ، وأصل من محاكاة النزعات الحديثة في الأدب الأوربي المصري . فاذا تتبع الأستاذ الغمراوى الأسباب والعوامل التي أثرت في الأدب العربي الحديث وجد أنه لم تكن هناك مؤامرة على الدين والفضيلة نشأت عنها النزعة إلى التجديد ؛ فان تتبع الحوادث يُظْهِرُ كيف أن بعض أدباء المذهب القديم يقلبون (النتيجة) العارضة الثانوية المحدودة وهي الشذوذ والشطط فيجعلونها (سبب) نهضة التجديد كلها ؛ وقد أوضحنا أن الشذوذ والشطط موجودان في كل عصر ومذهب وذكرنا شواهد وأمثلة.

وإذا نظرنا في تاريخ النزعات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والأدبية وجدنا أنها كانت مصحوبة كلها أو أكثرها بشيء من الشطط؛ وهذا الشطط إما أن يكون متعمداً لمحاربة الجمود أو الوقوف، أو غير متعمد، بل تندفع اليه بعض النفوس قهراً . وقد لا يعرف الشطط ولا يميز من غير الشطط إلا بعد عصور طويلة تمحص فيها الأمور . ولو أن كل نزعة من النزعات البشرية رفضت كلها بسبب ما يصحبها من الشطط ما تغيرت الانسانية . ومن الحقائق الثابتة أن بعض الخاصة كانوا في كل نزعة تجديد يخلطون بين مبادىء النزعة ومظاهرها ؛ وبين ما يصحبها من الشطط، حتى كانوا يحسبون أن الجنس البشري مقضى عليه بسبب تلك النزعة . فالنزعة إلى الديمقراطية في أوربا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر كانت مصحوبة بشطط . وحسب بعض الخاصة أنه سيقضي على الانسانية، وأن القيود والشرائع الاجتماعية مقضى عليها بالاضمحلال، فرفضوا النزعة بأجمعها بدل رفض الشطط وحده . وهذا هو ماحدث في نزعة الاصلاح الديني في أوربا في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، أو ماحدث في النزعة إلى تحرير الرقيق في أمريكا . ولعل الشطط الذي كان في رفض النزعة كلها كان يغفر الشطط الذي يصحبها ويهون أمره في نفوس أنصارها ويساعد على نجاحها .

ومما يشاهد أيضاً في حياة الأمم أن الفساد الكثير المألوف قد لا يثير من التسخط قدر ما يثيره الفساد القليل غير المألوف ، وإن كان الأول أوخم عاقبة وأكثر ضرراً . والنوع الأول من الفساد هو كما في الأدب العربي من مجون وإباحية صقلهما الدهر واعتادهما القراء حتى صارا لا يثيران تسخطاً بل يُنْظَرُ اليهما كما يَنْظُرُ الأب إلى ابنه الكثير الدعابة واللعب فيلومه ولكنه يحن اليه ويعطف عليه وتزيده دعابته ولعبه حبا له .

ومن المشاهد أيضاً أن الأديب أو المفكر قد يدافع عن مذهب وهو يعمل على هدمه من غير عمد ، أو يعمل على الأقل لاذاعة نقيضه بمؤلفاته وهو في بعضها يعمل لنقيض هذا النقيض . فشوقي الذي أطرى البهاء زهير في مقدمة الطبعة القديمة من الشوقيات ، هو شوقي الذي عمل بشعره المتين الأخير للقضاء على طريقة البهاء زهير وأضرابه . والرافعي الذي يروج أشد مذاهب الأدب الأوربي الحديث تطرفا وهو مبدأ الرمزية من غير قصد بتأليف (حديث القمر) ، هو الرافعي الذي ينتقد الأدب الأوربي أشد انتقاد في مقالاته . وكم من أديب قريب العهد بالأدب لولا بعض كتب الرافعي ما احتذى هذا المذهب فيما كتب .

فالعقل أو الوعي الباطن قد يَعْدُوهُ على العقل الظاهر الناقد. أليس في بعض شعر الصوفيين من شعراء اللغة العربية شهوة مكتومة يبوح بها العقل الباطن بالرغم من صرف العقل الظاهر معناها إلى الذات الالهية ؟ وهذا مع أن أوصاف المحبوب لا تشير إلا إلى إنسان جميل وإن القول شهوة محض .

ولعل الأستاذ قد قرأ وصف النابغة الذبياني للمتجردة زوجة

النعمان واطلع على مافيها من وصف عورة المرأة وما هو أشد من أشد من وصف عورتها في قوله (وإذا ... وإذا) . نعم إن النابغة شاعر جاهلي، ولكن استشهاد الأفاضل الأجلاء من شيوخ الأدب والعلم بهذا الوصف ونشره في الكتب التي يمدونها للقراء ومنهم الفتيان والفتيات، يدل على أن العقل الناقد فيهم قد نام عن أن هذا الوصف يخالف العرف والتقاليد والآداب الاسلامية

وهؤلاء الأفاضل هم الذين يسخطون على وصف النواسي في لباس البحر وصفاً لا يبلغ مبلغ وصف العورة والفجر كما فعل النابغة وكما فعل كثير من أدباء العرب في العصور المختلفة احتذاء للنابغة حتى في عبارات وصفه .

على أن رجوع نزعة التجديد إلى طريقة النظم بالعاطفة أو بذكرى العاطفة، ومحاولة الإقلال من المغالاة بالصنعة العباسية ليس من جهل بفضل الأدب العربي في العصر العباسي، ولا من جهل بفطاحل شعرائه وأدبائه ، ولكن هؤلاء الشعراء شغلوا بمدح الخلفاء والأمراء ووضعوا لهذا المدح أوضاعاً . وإذا قرأت أجزاء مختارات البارودي هالك نصيب باب المديح من تلك الأجزاء الأربعة ، وهالك تردد المعاني في ذلك الباب؛ وهذا معنى ما أشير إليه من جمود المعاني والموضوعات وغلبة الصنعة على العاطفة النفسية ، وذلك لا ينفي أن نصيب هذا العصر من التفكير وحرية القول كان عظيما . ومما يؤسف له أن حرية القول كان أكثرها في المجون إلا عند بعض المفكرين من الشعراء. ولا ينفي أن تلك الصنعة التي ما لبثت أن تحجرت في أوضاع المديح كانت في أول أمرها تجديداً، ولكنها في المتأخرين ضاع التجديد فيها وتدلت إما إلى محاكاة عبارات ومعاني السابقين، وإما إلى ما رأينا من النكات اللفظية والجناس وأشباهه من الأمور التي استغنى بها حتى عن روعة الأسلوب وفخامته، إلى أن جاء البارودي وحافظ وشوقي فعادوا إلى محاكاة أفخم أساليب العصر العباسي الأول . ثم جاءت نزعة المذهب الجديد وحاولت إحداث شيء من التجديد في أبواب القول ومعانيه وأخيلته ، وفي طريقة بحثه للموضوعات بالرجوع إلى خواطر النفس وأحاسيسها. فاذا كان بعض أدبائها قد وصف في الأحايين خواطر لا يصح وصفها ، فانه أمر عارض لا يصح أن يكون عنواناً للمذهب ، أو أن يفسر به المذهب ؛ وهو على أي حال أهون مما في كتب الأدب القديم من وصف فُجْر ومن مجون يقرؤه الفتيات والفتيان في مكتبات مدارسهم كل يوم حتى صغارهم الذين يكاد المرء يعدهم من الأطفال . فينشأ هؤلاء الأطفال على النفاق والتبجح إذا ما لقنهم الملقنون أن الأدب الأوربي من آداب الرذيلة ، وهم منغمسون في حمأة الرذيلة بسبب كتب الأدب العربي القديمة . أما ما يأخذه بعض كتاب المذهب القديم على المذهب الجديد من الولوع بشعر التأمل فهو أعجب العجب . وهم إنما يخلطون بين شعر التأمل وبين شعر متون وحواشي كتب الفلسفة، أو بين شعر التأمل وشعر تعليم الأولاد. فشعر التأمل في الحياة والنفس هو خلاصة النفس؛ وهو لا يختلف عن الشعر الذي يقال في وصف أحاسيس النفس في موضوعه ما دمت تحسُّ فيه العاطفة الشعرية . ولا يجوز الحط منه إلا إذا خلا من كل أثر للعاطفة النفسية؛ فليس شعر التأمل في الرتبة الثانية، وإلا أخرجنا أبا العلاء المعري والمتنبي من عدة الشعراء وأخرجنا أجود ما في شكسبير . وقد فرق الأدب الأوربي بين شعر التأمل وبين شعر متون الفلسفة، كما فرّق بين شعر التأمل وبين الشعر التعليمي في الأسماء ؛ فلتراجع هذه الأسماء في مصادرها .

(قارىء)

عود على بدء

بين الغـــرب والشرق

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

— ٤ —

كان يرى الأستاذ فليكس فارس رجحاناً لطابع الشرق الغيبي على قالب ثقافة الغرب الاثباتية . ومرد هذا الرجحان كما ظهر لنا من مناقشة كلامه اعتقاده بقانون الرجعى ، وبأن لهذا الشرق من كيانه نافذة يتطلع منها إلى الحياة ، هي نافذة فطرته الموروثة ، فنها يستقبل النور ، ومنها يستقبل النسمات لأنفاسه .. وفطرة الشرق الموروثة على زعمه قائمة على الايمان بالغيب . ونحن نرى ما يعبر عنه بالفطرة الموروثة هو التراث الشعبي لهذا الشرق والثقافة التقليدية له . وهو شيء كما قلنا غير فطرة الشرق وروحه، لأن الفطرة شيء مجرد يظهر في تاريخ الشعب وفي ثقافاته المتعاقبة من حيث يحتضن ثقافة الشعب التقليـدية . إذاً من الخطأ من الناحية العلمية ما يقوله مناظرنا الفاضل الأستاذ فليكس فارس من أن فطرة شعوب الشرق هي الحالة الغيبية . والصحيح أن يقول إن طابع ثقافة الشرق التقليدية هو غيبي

ولا شك أن طابع هذه الثقافة التقليدية ممكن تغييره بالطابع اليقيني ، ولكن هذا التغيير وقف على العوامل والظروف التي تجد طريقها إلى محيط هذا الشرق . فنحن نعلم بأن كينونة الانسان وقف كما قلنا في المقال السابق على مجموع الصلات المتبادلة بين المؤثرات المختلفة التي يختص بهـا المحيط الاجتماعي والبيئة الطبيعية من جهة ، والانسان من جهة أخرى ؛ فاذا ما تغايرت المؤثرات في المحيط الاجتماعي فتبعاً لما يتغاير منتوج الصلات القائمة بينها وبين البيئة الطبيعية حتى تحوز من المكافأة ما يتوافق مع ما استجد من المؤثرات . ومثل هذا التغاير الخارجي يؤدي إلى تغير في الأفكار والسلوك الاجتماعي والشعور الذاتي في الجماعة البشرية ...

وأظن أن مناظري مهما حاول أن يتعسف فلا يساعده المنطق والعلم أن ينال من صحة هذه المقررات الأولية

وإذن يسقط السبب الوحيد الذي يرجع اليه مناظرنا في إيمانه بتفوق ثقافة الشرق الغيبية

ولنا أن ننظر مع ذلك في حقيقة الاتجاه الغيبي في المجموع البشري كحالة طبيعية تمر بها الجماعات في تطورها التاريخي وارتقائها الطبيعي ، مجردة عن تلك الحالات التي تقيمها اليوم في كيان المجتمع العربي على وجه عام ، والمصري على وجه خاص . وسنجد أن الحالة الغيبية مبعثها الجهل بأسباب الأشياء الطبيعية وعللها الكونية ، فيجنح العقل إلى ما وراء الطبيعة والكون محاولا أن يستنزل منها تفسيرات وتعليلات للحالات التي يخلص بها من حياته في العالم المنظور . وأظن أن أحسن ما يمكن أن أقدمه لمناظري الفاضل تاريخ النزاع بين اللاهوت والعلم ، ففي كل صفحة من صفحات هذا التاريخ يقع على ما يؤيد فكرتنا

يقول الأستاذ « بيتي كروزيار » :

(لقد كف الناس عن القول بأن المذنبات نذر إلهية عند ما عرفوا أسباب ظهورها وعللوا وجودها . وكفوا عن القول بأن الصواعق نتيجة غضب إلهي عند ما عرفوا حقيقة الكهربائية الجوية ، وعند ما استكشف « فرنكلين » مانعته المشهورة . ورجعوا عن القول بأن الجنون والمس عائد إلى أعمال السحرة والمشعوذين وأنصار الشياطين عند ما دلهم الطب على أسبابها العصبية . ورفضوا الاعتقاد بأن اللغات منشؤها بابل عند ما وضعت قواعد مقارنة اللغات)

نعم لقد كف الناس في العالم المتمدن عن كل هذا ، وآمنوا بسنة « كُنت » من أن الحوادث العالمية والظاهرات الطبيعية لابد أن تعود إلى سبب طبيعي ، وأنه من المستطاع تعليلها تعليلاً علمياً مبناه العلم الطبيعي . من ذلك اليوم انهار قائم اليقين بما بعد الطبيعة للافصاح عن حقيقة الظاهرات الطبيعية ، وكان نتيجة ذلك أن خلص العالم المتمدن بعقلية وثقافة جديدتين طابعهما يقيني إثباتي . ونحن إن كنا نقول باستحالة الأخـذ بالعلم الأوربي مع الاحتفاظ بالثقافة الشرقية من حيث أن طابعها غيبي ، فذلك مرده أن العلم الأوربي قائم على عقيدة أولية في إمكان الكشف عن سبب طبيعي لكل الحوادث العالمية والظاهرات الطبيعية .

٦ — يظهر أن المناظر الفاضل حين أراد أن يرد على القول

بوجود أصل فرعوني في ثقافة مصر التقليدية ، تعسف إلي حد أن خرج على الأوليات المعروفة فى حقائق الاجتماع وعلم تكون الشعوب . وإلا فليفسر لنا معنى سخريته من هذه الأوليات ؟

يقول المناظر الفاضل :

« أما أن يعد المناظر « يعنيني بذلك » طريقة استغلال الأرض فطرة (لم نقل فطرة وإنما كل ما قلناه ثقافة تقليدية أو تراث للشعب، فاذا صح الكلام على هذا الوجه يستقيم) فذلك مما لا يوافقه عليه أحد — لماذا ؟ — لأن المسألة هنا تتعلق بتطور فى أساليب الصناعة . ولو كان الأمر كذلك لكان كل مرتد غير القميص الأزرق ، وكل حارث بآلة حديثة ، وكل مستبدل « شادوفاً » « بطلمبة » فاقداً للأصل الفرعوني في ثقافته التقليدية»

وهذه لعمرى إحدى أطاريف الكلام فى مناظرتنا . ومنحى الطرافة أن يحمل المناظر الحقيقة على وضع يسخر منه !

نعم أيها الصديق ، إن ما تظنه موضعاً للسخرية حقيقة واقعة. وإذا أردت السبب فاننا نسوقه بكل بساطة قائلين :

إن منحى الحياة الماشية التى يحياها الانسان لها أثر فى تحديد مشاعره وتوجيه عقليته وتكوين ثقافته ، من حيث أن الحياة الماشية تقيم جواً طبيعياً واجتماعياً يعيش فيه الانسان ، وإلا فما الفرق بين ثقافة إنسان يحيا حياة رعى وصيد ، وحياة إنسان يحيا حياة زراعة، وحياة إنسان يحيا حياة صناعية ؟

لا أظن أن المناظر الفاضل يتعسف إلى الحد الذى ينكر الفرق الثقافى بين هؤلاء وأثر حياتهم الماشية فى تكوين ثقافاتهم إلا ويخرج عن الأوليات المعروفة فى علم الاقتصاد والاجتماع . وهو إن شاء أن ينكر فلسنا نمنعه . ولكن ليبين لنا إلى أى شيء يستند حتى نناقشه على أساسه ؟ !

كذلك إنكار المناظر أن تكون التقاليد التى احتفظ بها المصريون من العهد الفرعونى دليلا على ظهور الدين الاسلامى في مصر على الدين الفرعونى فلا أظن أن منطقه أسعفه فى إنكاره، لأنه يعترف ضمناً بهذه الحقيقة فى اعتراضه بقوله :

« على أن ما تبقى من التقاليد يعد بدعاً لا يزال الدين يعمل على اقتلاعها من المجتمع لخيره وسلامة إيمانه » فكأن هنالك تقاليد تبقت من العهد الفرعونى وتسربت إلى الدين الاسلامى فى مصر ولونته بلون محلى . أما أن الدين يعمل على اقتلاعها لخير المجتمع وسلامته فليس ذلك من شأن الباحث المستقرى . وله أن ينظر إليها إذا ما نجح الدين فى اقتلاعها وأصبحت حقيقة ملموسة.

٧ — قلنا إن لمصر ثقافتها التقليدية التى تتميز بها عن جاراتها من بلدان الشرق العربي . غير أن المناظر وإن اعترف معنا بأن للميزات الاقليمية أثراً على ثقافة الأمم اعتبر أن لكل أمم الشرق العربى ثقافة عامة شاملة ، ومن هنا اعترض علينا وقال بوحدة ثقافة أمم الشرق العربى . غير أن هذا الاعتراض فى غير محله ، لأن اعتباره أن لأمم الشرق العربى ثقافة عامة شاملة إن كانت صحيحة إلى حد ما فهذه الثقافة تتلون وتأخذ طابعا فى كل بلد من بلدان الشرق العربى ، فمظهرها فى سوريا غير مظهرها فى العراق ، وهى فى العراق غيرها فى مصر ، وهى فى مصر غيرها فى الحجاز ، وهى فى الحجاز غيرها فى مراكش أو تونس . وهذه حقيقة قد تظهر أوضح للمراقب الأجنبي من حيث تتميز عنده الفروق الأساسية . ومن مظاهر هذه الفروق اللهجات العربية فى مختلف بلدان العالم العربى ، ومناحى الحياة الماشية .

ولقد وهم المناظر الفاضل أننا نهزل حين قلنا إن العامية فى مصر هى العربية الآخذة بأسباب الفرعونية ، بينما نحن فى مجال الجد ؛ غير أن ناحية من الهزل بدت من خلال كلامنا حين لم يلاحظ مناظرنا ما قلناه فى المقال الأول من أننا نعنى بالفرعونية وحدة الحياة — عقلية أو معاشية — متمشية فى ثقافة المصريين التقليدية حتى العهد الفرعونى . فاذا قلنا إن العامية هى العربية الآخذة بأسباب الفرعونية فانما نعنى أنها تأخذ طابعاً مصرياً خاصاً بها ، هذا الطابع هو الذى يتمشى فى ثقافة المصريين التقليدية حتى العصر الفرعونى ، ومن هنا جاءت كلمتنا الآخذة بأسباب الفرعونية » .

وأظن أن كلامى قد وضح وبان مفهومه وظهر أنه جد لا هزل ... وبهذه المناسبة ألفت نظر المناظر إلى مراجع قيمة فى اللهجة المصرية تشفى غلته وتؤيد وجهة نظرنا ، وأهم هذه المراجع بحث للبروفسور نلينو عنوانه « كتاب فى اللهجة المصرية » وهو مطبوع بميلانو عام ١٩٠٣ ، ودروس الأستاذ احمد والى ويوسف المغربى والأستاذ كراتشفوفسكى

« للمقال بقية » اسماعيل أحمد أدهم

السلطان الغوري

مكانته في الأدب والعلم وأثره فيهما

للدكتور عبد الوهاب عزام

ظفرنا بهذه الخلاصة الوافية للخطاب القيم الذي ألقاه صديقنا الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام في مؤتمر المستشرقين ببركسل ؛ فنال إعجاب العلماء المجتمعين بطرافة موضوعه ، ودقة بحثه ، وسداد طريقته (المحرر)

— ١ —

السلطان قانصوه الغوري أحد سلاطين المماليك بمصر . حكم من سنة ٩٠٦ إلى سنة ٩٢٢ هـ

ولست أريد أن أعرض للأحوال السياسية التي تولى فيها، والأحوال التي أزالت ملكه وقضت على دولة المماليك ؛ ولكني أريد أن أذكر طرفاً مما عرف من صلته بالأدب والعلم

كان ذا حظ وافر من العلوم الدينية : التوحيد والتفسير والفقه ؛ وكان ذا نصيب من التاريخ معنياً بقراءة التواريخ والقصص وسماعها ، كما كان ذا بصر بالأدب ، وله نظم بالعربية والتركية ؛ وكانت له مشاركة في الموسيقى والغناء ، وله موشحات كان يُتغنى بها

— ٢ —

وتاريخ الغوري مفصل في كتب التاريخ ولا سيما كتاب «بدائع الزهور في وقائع الدهور» لمحمد بن إياس ؛ ولكن سيرته في الأدب والعلم تتجلى في ثلاثة كتب لم تنل نصيبها من العناية وفيهما للمؤرخ مجال واسع

١ — كتاب نفايس المجالس السلطانية، في حقائق الأسرار القرآنية : ألفه حسين بن محمد الحسيني ، وهو شريف كما يؤخذ من اسمه ومن عبارات في ثنايا الكتاب ، ويظهر أنه تركي ساح في إيران والبلاد الشرقية ، وقد نظم بيتين بالتركية في رثاء ابن السلطان الغوري ، وروى من شعر حسين بيقرا . وفد على مصر فأقام عشرة أشهر شهد فيها مجالس السلطان الغوري ، وجمع في كتابه هذا بعض المباحث التي كان السلطان والعلماء يتكلمون فيها والعجمة ظاهرة في كتابته حتى اسم الكتاب فقد سماه « نفايس مجالس السلطانية في أسرار مجالس القرآنية » فحذف اللام من المجالس والأسرار

والنسخة التي بأيدينا هي النسخة التي كتبت للسلطان وأهديت إليه . وقد كتب عليها الصيغة المعتادة :

(برسم خزانة المقام الشريف ملك البرين والبحرين مولانا السلطان المالك الملك الأشرف قانصوه الغوري خلد الله ملكه)

ويقول المؤلف في مقدمة الكتاب : أما بعد فإني لما تشرفت في خدمة أشرف الملوك وأعظم السلاطين ظل الله في الأرضين ، ناظر أربع حُرُم رب العالمين ، سلطان العرب والعجم ، صاحب البند والعلم ، حافظ بلاد الله ، ناصر عباد الله ، أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ، ملك الأشرف عزيز مصر أبو النصر قانصوه الغوري ، أعز الله أنصاره ، وضاعف أقداره — ولازمتُ بابه الشريف عشرة أشهر ، وجمعت درر فوائده في سمط العبارة ، ونظمت جواهر زواهره في خيط الكتابة . فان بابه الكريم مجمع الأفاضل ، وجنابه العظيم بحر الفضائل والفواضل . هذا مع ماخصه الله تعالى من الفضائل النفيسة ، والمناقب الشريفة اللطيفة ، أعطاه من الفهم أوفره ، ومن الذهن أغزره ، ومن الحلم أشرفه ، ومن العلم ألطفه ، ومن الرتب أقواه ، ومن الملك أعلاه ، ومن الشجاعة أبلغها ، ومن السخاوة أعظمها ، كل هـذه الصفات خصه الله تعالى بمجموعها . ولهذا ارتقى إلى الذروة العالي ، التي كانت نهاية درجات الأفاضل الأهالي . وفضل هذا السلطان على سلاطين الدنيا كفضل سلاطين الدنيا على الرعايا .

وكل هذه الأوصاف والمناقب بما قرن به من محبة العلم والعلماء والتفتيش عما وضمته الحكماء في كل نوع من العلوم ، لو يقول البشر في وصف هذا المظهر إنه هو سلطان العلماء المحققين ماهو كذب في حقه، أو يقول في مدحه : انه هو سلطان العارفين ماهو عيب في وصفه »

وجعل كتابه في مقدمة وعشر روضات . والمقدمة قصيرة تتضمن كلام بعض السلاطين ومنهم الغوري . والروضات العشر يذكر في كل واحدة منها مجالس السلطان في شهر . وكانت المجالس تجتمع في كل أسبوع مرة أو اثنتين أو ثلاثاً .

وأولها مجالس رمضان سنة عشر وتسعمائة . وأول مجلس منها يوم الخميس الثالث والعشرين من الشهر، وآخرها مجالس رجب

فهى عشر روضات فى أحد عشر شهراً لأن السلطان لم يجلس فى شهر ذى القعدة ، لوفاة ولده محمد .

والمؤلف يصف كل مجلس وتاريخه ومدته ، ويذكر الإمام الذى يحضر المجلس وكبار الحاضرين، ثم يذكر المسائل التى طرحت للبحث فى المجلس . يقول فى المجلس الأول :

«طلعت يوم الخميس ثالث وعشرين رمضان المبارك فى تاريخ سنة عشر وتسعمائة، وكان فى خدمته ناصح الملوك والسلاطين شيخ حسن چلبى؛ وكان الامام فى تلك الليلة شيخ شمس الدين السمديسى. وقعدوا فى الأشرفية ستين درجة . ووقع فى تلك الليلة أسولة . السؤال الأول الخ » . .

ويقول فى المجلس الثانى من شوال :

« طلعت يوم الأحد تاسع شهر شوال ، وقعدوا خمسين دقيقة فى البيسرية الأشرفية . والامام كان شيخ محب الدين المكى ، وشيخ الاسلام كان حاضراً . وخواجه غياث الدين ده دار ، وقاضى جمال الدين الخشاب ، وكثير من الناس كانوا فى الخدمة الشريفية والعتبة العلية »

يبدأ السلطان أكثر الأحيان بسؤال يجيب عنه أحد الحاضرين فيرتضى السلطان جوابه أو يناقشه ، وأحياناً يبدأ أحد الحاضرين الكلام . وأكثر المسائل دينية وبعضها تاريخية ، ومنها ألغاز فى موضوعات شتى ، وقصص عن الملوك وغيرهم

وأحياناً يصف المؤلف مشاهد ويروى أحاديث لها فى التاريخ خطر كبير

مثلاً يصف إحياء السلطان المولد النبوى ، ويذكر طوائف الناس الذين اجتمعوا ، وما فعلوا فى هذا المحفل، ويبين كيف جلس السلطان ليلا وكيف يتقدم إليه كبار الدولة وينشد كل منهم شعراً فى مدحه وكيف يقابلهم السلطان . وقد ذكر أن الخليفة يعقوب المستمسك بالله خليفة مصر تقدم « وباس الأرض ، كفرض العين وعين الفرض » وأنشد :

إن الخلافة ثوب قد خُصصت به   إذا لبست فلم يفضل ولم يعز
ما أودع الله فى أحداقنا بصراً   إلا لتفرق بين الدر والخرز

وكذلك يمر القارئ بمسائل ذات خطر فى التاريخ والسياسة إذ ذاك كقول السلطان : « الجركس من الفساسنة فهم عرب » وكالبحث فى شروط الامامة فى مجلس السلطان وقول مؤلف الكتاب : فان لم يوجد من يستوفى الشروط من ولد اسماعيل جاز أن يُولّى واحد من العجم أو من ولد إسحاق . وقوله بعد هذا : الحمد لله والمنة ، الجركس من ولد إسحاق . وجميع هذه الشرائط موجودة فى السلطان الأعظم

بل نجد فى الكتاب بحثاً صريحاً فى نيابة الغورى عن الخليفة العباسى وهل هذه النيابة لازمة لصحة أحكامه فى الأمور الشرعية. ويشتد الخلاف بين المؤلف وأحد العلماء فى هذه المسألة فيحقر المؤلف الخليفة ويعظم السلطان ، ثم يذهب يستفتى العلماء ويأخذ خطوطهم بأن نيابة السلطان عن الخليفة غير لازمة

ويرى القارئ أحياناً اهتمام السلطان بتعليم المماليك وإحضارهم معه من حين إلى آخر إلى مجالسه ليقرءوا أمامه ويمتحنهم

وهكذا يجد القارئ فى الكتاب مسائل مهمة لا يظفر بها فى كتب التاريخ ، ويرى صوراً من آراء السلطان وعلماء عصره ، ويتبين مقدار اطلاعهم ودرجة تفكيرهم

٢ — الكتاب الثانى : اسمه الكوكب الدري فى مسائل الغورى ، وهو يحتوى على ألفى مسألة وأجوبتها من المسائل التى وقع البحث فيها فى مجالس السلطان الغورى أيضاً . ولدينا الجزء الأول من الكتاب وفيه ألف مسألة فى ٣٣٨ صفحة . والنسخة مكتوبة فى عهد الغورى . ويظهر أنها نسخة المؤلف . وعليها خطوط ثلاثة من علماء وقته المعروفين يشهدون بأنهم اطلعوا على الكتاب . وبعض هذه الخطوط مؤرخ بالسنة التى تم فيها كتابة هذا الجزء

ويقول المؤلف فى آخر الكتاب : « وكان الفراغ منه فى مستهل شهر ربيع الآخر سنة تسع عشر وتسعمائة »

ويقول فى المقدمة : وبعد فانى لما رزقنى الله سعادة الدارين وتشرفت مدة عشر سنين بخدمة سلطان الحرمين الشريفين خان الأعظم وخاقان المعظم ، مولى ملوك الترك والعرب والعجم حافظ بلاد، الله ناصر عباد الله، وارث ملك يوسف الصديق، إمام الأعظم بالحق والتحقيق، مظهر الآيات الربانية، مظهر الأسرار الروحانية ، أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ، الملك الأشرف ذو الفيض النوري، أبو النصر قانصوه الغورى الخ ... قصدت أن أجمع در فوايد

بجلسه فى سمط العبارة والكتابة ، وأنظم جواهر زواهره فى سلك الاستعارة والكناية ، لأنه ورد فى كلام بعض الأنام : كلام الملوك ملوك الكلام ، سيما إذا كان المبحوث عنه تفسير كلام رب العالمين ، ونكات أحاديث سيد الأنام عليه الصلاة والسلام ، ومباحث سلطان الاسلام الخ ...

إلى أن يقول : وجمعت شيئاً يسيراً وفاتنى منه شىء كثير ، فجمعت من بحار فوايده قطرة ، ومن شموس محاسنه ذرة ، لم أقدر أن أجمع إلا واحداً من ألف بل من مائة ألف ... فجمعت من المسائل المشكلة ألفى مسألة ، وسميته بالكوكب الدرى فى مسائل الغورى ...

وفى هذه المقدمة شبه بمقدمة الكتاب الأول ، وبعض عباراتهما واحدة ، وبين تاريخهما زهاء عشر سنين

وهذا الكتاب ليس مقسما على المجالس كالكتاب السابق ، بل المسائل فيه متتابعة بغير فصل . والمطلع على الكتاب يرى صوراً من أفكار علماء مصر وأمرائها فى ذلك العصر . يرى إلى المسائل الدينية وهى معظم الكتاب ، مسائل تاريخية ، وجغرافية ، ويرى انتقال الحديث من تفسير آية أو حديث إلى السؤال عمن بنى الأهرام أو عن سبب زرقة السماء أو السؤال عن كيورث أول ملوك الشاهنامة أكان قبل نوح أو بعده ، أو عن شهر المحرم لماذا جعل أول التاريخ الهجرى ، أو هل الأرض أفضل أم السماء . ويجد القارئ فى الحين بعد الحين فكاهة من السلطان أو نادرة ، ويعرض فى المجالس ذكر الملوك المناصرين والأمراء الذين وفدوا على السلطان كان السلطان سليم . ويرى بعض الأسئلة الدينية التى سألها هؤلاء الأمراء وجواب السلطان أو بعض علمائه

لا ريب أن هذا الكتاب على تفاهة معظم المسائل التى يدور عليها البحث ، يصور بعض النواحى الفكرية والاجتماعية فى مصر والعالم الاسلامى ، فى ذلك العصر

٣ — الغورى والشاهنامة :

— ١ —

كان حسين بن حسن بن محمد الحسينى الآمدى أحد شعراء التركية فى أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجرى وشهد عهد السلطان الغورى فى مصر ، ولعله فر إليها إذ كان من المقربين إلى الأمير جم بن محمد الفاتح . وتوفى بمصر سنة ٩٢٠ وقد أمره السلطان الغورى أن يترجم شاهنامة الفردوسى إلى اللغة التركية فترجمها فى عشر سنين آخرها سنة ست عشرة وتسعمائة

وقد نظم الشاعر فى مقدمة الكتاب فصلاً يبين فيه سبب نظمه . وخلاصته أن السلطان كان ولعاً بقراءة التاريخ والقصص ، وكان فى خزانته كتاب الشاهنامة ، فدعا الشريفى وقال : إنى أحب هذا الكتاب وأعرف ما تضمنه من المواعظ والأخبار وأريد أن يترجم إلى اللغة التركية ليسهل علينا إدراك معانيه . وأعرف أن لك مقدرة على نظمه ، فترجمه إلى التركية . فقال الشاعر : أيها السلطان المعظم ! كيف تريد أن تسهل عليك معانيه بالترجمة وأنت تعرف لسان العجم أحسن من العجم ؟ بل هو أسهل عليك من اللغة التركية ، وليس بك حاجة إلى ترجمته

قال السلطان : أريد أن يبقى ذكراً بعدى ، فإنما يخلد الانسان بالذكر الحسن

قال الشاعر : ولكن نظمى ليس من البلاغة والسلاسة بحيث يعجب السلطان ؛ وليس يسيراً أن يبلغ الكلام الدرجة التى ترضيك ، والشاهنامة كتاب غير الترجمة

قال : دع الاعتذار ولا تمتل فأنت من آل الرسول . فشمر للأمر ، وإن لم يكن كلامك مزخرفاً مصنفاً فلست أبالى . لست أكلفك كلاماً ملوكياً ، ولكن أريد أن تقول باللسان التركى قولا درويشيا

يقول الشاعر : فلم أجد بداً من امتثال الأمر على ثقل العبء وعلى بعد ما بينى وبين الفردوسى ، وشرعت فى نظم الكتاب فى وزن آخر غير وزنه الفارسى الخ ...

— ٢ —

فى مقدمة الكتاب وخاتمته نحو ألف بيت ؛ يبدأ الكتاب بالتحميد ، ومدح الرسول والخلفاء على سنة شعراء الفرس والترك ، ثم يذكر سيرة مماليك مصر منذ سنة ٩٧٠ هـ ، يذكر قايتباى والملوك الذين خلفوه فى فترة الاضطراب التى بينه وبين الغورى ، ثم يفيض فى مدح السلطان ، ثم يبين سبب نظم الكتاب ويشرع فى ترجمة الشاهنامة . وفى الخاتمة يمدح السلطان ويبين أنه نظم الكتاب باسمه وأتمه فى دولته ، ويتكلم عن أخلاق

السلطان وسياسته وشغفه بالعلم والأدب، ومعرفته لغات كثيرة، ومشاركته في الانشاء والشعر ونظمه في توحيد الله ومدح الرسول، وإلمامه بالموسيقى، ونظمه موشحاً للغناء، وولعه بقراءة التواريخ الخ ... ثم يصف مجلس السلطان واجتماع العلماء فيه لمذاكرة العلم، ويذكر المغنين والموسيقيين الذين يطربون السلطان في مجالسه

ثم ينتقل إلى وصف عمارات السلطان وصفاً مفصلاً فيعدد تسعاً منها. والخلاصة أن في مقدمة الكتاب وخاتمته ما يكشف بعض تاريخ الغوري ولا سيما الجانب الأدبي منه، ويبيّن طرفا من تاريخ مصر — بعد حساب المبالغات الشعرية.

— ٣ —

هذا الكتاب له قيمة عظيمة في تاريخ اللغة التركية فهو سجل جامع لألفاظ اللغة التي كانت مستعملة في القرن العاشر الهجري ولقواعد النحو والصرف التي كانت متبعة إذ ذاك.

وفيه كذلك صورة مفصلة للضرورات الشعرية التي كانت تعانيها اللغة من بعض الشعراء في ذلك العصر، والتي ذكرها ضيا باشا في مقدمة «الخرابات»

— ٤ —

ويزيد في قيمة الكتاب وفائدته، أن عندنا منه نسخة الأم أعني النسخة التي كتبها المترجم بخطه، وقدمها إلى السلطان؛ فعلى صفحة العنوان نجد هذه الصيغة:

«برسم خزانة مولانا المقام الشريف السلطان مالك رقاب الأمم، السلطان المالك، الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري عز نصره وخلد ملكه.

وفي آخر الجزء الأول:

«وقع الفراغ من تحرير المجلد الأول في أول ليلة من شعبان المبارك في محروسة مصر صانها الله من الآفات، في قبة الحسينية لأمير يشبك، تغمده الله بالرحمة والغفران»،

كاتبه ناظمه أضعف عباد الله حسين بن حسن بن محمد الحسيني سنة ثلاث عشر وتسعمائة. والحمد لله الخ ..

وفي آخر الجزء الثاني:

تم الكتاب بعون الملك الوهاب ضحوة النهار يوم الأحد ثاني شهر ذي الحجة الحرام سنة ست عشر وتسعمائة من هجرة النبوية عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات، كاتبه ناظمه وهو أضعف العباد حسين بن حسن بن محمد الحسيني الحنفي في مدينة مصر حرسها الله من الآفات والبليات في جامع المرحوم المغفور السعيد الشهيد الملك المؤيد شيخ سقى الله عهده بالرحمة والمغفرة

وبعد هذا سطران بالتركية:

«بو كتابك نظمنه مولانا السلطان عز نصره الغوري أول سلطنت يلنده ابتدا إيلدك، أون يلده تمام أولندى، أونك دولتده إتمامه أرشدى»

حسبنا الله ونعم الوكيل. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

(ومعنى العبارة التركية أنه بدأ الكتاب في أول سنة من عهد السلطان وأتمه في عشر سنين في دولته)

— ٥ —

والنسخة في ١١٧٠ ورقة كبيرة أي ٢٣٤٠ صفحة، كل صفحة ٢٥ سطراً، وهي مذهبة، وبها اثنتان وستون صورة ملونة. وإزاء كل صورة في الحاشية عنوانها بخط مذهب. ولهذه الصور قيمتها في الدلالة على التصوير المصري في ذلك العصر

— ٦ —

ثم يزيد هذه النسخة نفاسة وفائدة أنها واضحة الخط تميز فيها الحروف الثلاثة پ، چ، ژ، من الحروف العربية ب، ج، ز بوضع نقطتين تحت الحرف أو ثلاث. وهذا نادر في الكتب القديمة، وهي بعد هذا مشكولة شكلا تاماً لا يرتاب القارئ في ضبط كلمة منها

فبين أيدينا زهاء ستة وخمسين ألف بيت من الشعر التركي في القرن العاشر الهجري مضبوطة ضبطاً تاماً، وقيمة هذا في اللغة والأدب ليست هينة

— ٧ —

عرفنا من هذه الكتب أن السلطان كان مولعاً بالأدب وأن له نظماً بالعربية والتركية. ولدينا نماذج من نظم السلطان في موشح في كتاب نفايس المجالس، وقصيدتين وموشحين بالعربية، وموشح بالتركية في كتاب تاريخ حلب للطباخ، وعند بعض أدباء حلب قطع أخرى من شعر السلطان، وفي استانبول مجموعة من شعره

عبد الوهاب عزام

للتاريخ السياسي

النزاع الروسي الياباني

للدكتور يوسف هيكل

شهد شهر أغسطس (آب) الفائت حوادث دولية منفاقة الخطورة، إذ طارت شرارة الحرب العالمية في الشرق الأقصى فأشعلت النار بين الروس واليابان، فكادت الحرب تجتاح العالم لولا الجهود الديبلوماسية التي بذلت لاخماد نار الحرب الروسية اليابانية. غير أن شبح الحرب العالمية عاد من الشرق الأقصى إلى أوروبا الوسطى، وأخذ يحوم في جوها مهددا السلام بشدة.

وحديثنا في هذا المقال مقتصر حول النزاع الروسي الياباني. ولعرض هذا النزاع يحسن بنا التكلم عن أسباب الصدام الذي حدث بين القوى الروسية واليابانية، وعن تطور القتال بينهما، وأخيرا عن المفاوضات الديبلوماسية التي بذلت لعقد الهدنة بين موسكو وطوكيو، وعن شروط هذه الهدنة وأسبابها.

نشأت في اليابان في السنين الأخيرة روح استعمارية جديدة. فبعد أن أغرقت اليابان أسواق الشرق بمنتوجاتها، مما أدى بالدول الأخرى إلى وضع ضرائب فادحة على المنتوجات اليابانية لتحول دون دخولها بلادها، أخذت تتبع سياسة تتعارض وبقاء الأوربيين في الشرق. وكان هدفها الأول إجلاء الأوربيين عن الصين. فعملت، قبل احتلالها منشوريا، على تحقيق هذه الأغراض بالتفاهم مع الصين، ولذلك ساعدت على قيام أحزاب قوية في بلادها مطالبة بأن تكون «آسيا للآسيويين كما أن أوربا للأوربيين، وأمريكا للأميركيين». ثم عملت على إنشاء فروع عديدة لهذه الأحزاب في الصين وجاوة والهند.

ولكن الحكومة اليابانية رأت أن الحالة الدولية تتطلب السرعة في العمل، فعدلت عن سياسة التفاهم مع الصين، وعمدت إلى سياسة القوة التي مكنتها من احتلال منشوريا، على رغم تعدد المصالح الغربية فيها. بعد هذا الفتح واجهت اليابان أوربا بقاعدة جديدة هي «ارفعوا أيديكم عن الصين».

لم تتحسن العلاقات بين اليابان والصين بعد استيلاء اليابان على منشوريا، بل عمدت الصين إلى مقاومة النفوذ الياباني، وجدت في المحافظة على كيانها. غير أن اليابان قررت شل الحركة الصينية المعادية لها بالقوة، فكانت الحرب اليابانية الصينية.

واستيلاء اليابان على الصين يهدد وجود الدول الغربية في البلاد الأسيوية، ولاسيما في الشرق الأقصى والأوسط. ويتحقق حينئذ الخطر الأصفر الذي كان الامبراطور ولهلم أول المنذرين به.

وفي مقدمة الدول التي تخشى اليابان في الصين الحكومة الروسية. لأن الخطر الأصفر لا يحرم هذه الدولة بعض مستعمراتها فقط، بل ربما يسلخ عنها قسما كبيراً من بلادها، وهو سيبريا الممتدة في شمالي آسيا من أقصى الشرق حتى الغرب منها. وقد كانت الروسيا في المدة الأخيرة هدف عداء اليابان، إذ أن طوكيو عقدت تحالفا مع برلين وروما، غايته مكافحة الشيوعية. والشيوعية ما هي إلا رمز يراد به الحكومة الروسية. فهذه المصالح المتضاربة هي السبب الرئيسي لكل حرب تقع بين اليابان والروس، أو بين اليابان وأية دولة غربية أخرى.

أما السبب المباشر للنزاع الأخير الذي حدث بين اليابان والروسيا فهو حادث حدود، وهو أن الجند الروس، حسب قول اليابان، اخترقوا الحدود الفاصلة بين السوفيات (الروسيا) ومنشوكو واحتلوا تشانج كوفنغ ومضيق شانغ كو. ولذلك طلبت طوكيو من موسكو سحب القوات السوفياتية إلى ما وراء الحدود، فرفضت موسكو ذلك أواسط شهر يونيه، مجيبة بأن المنطقة المختلف عليها هي جزء من الأراضي الروسية، وأن طلب اليابان يعد تدخلاً منها في شؤون السوفيات الداخلية

إن تهديد اليابان وجواب روسيا جعلا الدولتين تقفان وجهاً لوجه دون أن تستطيع إحداهما الرجوع عن موقفها من غير أن يكون ذلك تراجعاً منها أمام رغبة الأخرى. وفي أثناء ذلك كانت الجيوش تتجمع، والطائرات تحوم في الجو، فكان التصادم، وكانت حوادث قتال محلية لم تأخذ صبغة حرب بين الدولتين، لأن القوى التي اشتركت في القتال كانت محدودة، ولأن المفاوضات كانت مستمرة لايقاف القتال وإيجاد حل للخلاف.

***

أما هدف القتال فكان احتلال قمة « تشانج كوفنغ » وما جاورها . فبعد أن احتلت القوى السوفياتية هذه القمة، أصر الجيش اليابانى على إرجاع الروس عنها ؛ فدارت معارك عديدة ، واشتركت فيها القوى البرية على اختلاف أنواعها والجوية ، وأدت إلى استيلاء الجيش اليابانى على تلول «تشانج كوفنغ» و«شاتسا» و « بينج » وذلك فى ٣٠ يوليه سنة ١٩٣٨ . وقد صرح حينئذ الميجر « اكياما » بلسان الجيش قائلا« قد عدنا إلى احتلال هذه الأراضى المنشوكية بالقوة ، ولا نريد شيئاً أكثر من ذلك . فنحن نجهل النيات السوفياتية . ولكن إذا حاول السوفيات استرداد هذه المواقع وجب أن ينتظروا معاملة أقسى وأشد »

ولكن هذا التهديد لم يثن عزيمة السوفيات بل أثار هياج الرأى العام فى روسيا ، فقامت الجماهير بمظاهرات عدائية نحو اليابان جاء فى قراراتها : « يجب ألا تنسى قط اليابان وإيطاليا وألمانيا أن الجيش الأحمر لن يتخلى عن متر واحد من الأراضى السوفياتية ، كما يجب ألا يفوتها أن الشعب الروسى بأكمله هو فى حالة تجنيد، وأنه يجيب أول نداء تذيعه حكومته وسلاحه بيده » وقد أصدرت الجمعيات العامة المنشأة فى جميع أنحاء البلاد قرارات جاء فيها : « إننا لن نتراجع أمام أى تهديد . فحدودنا لا يمكن خرق حرمتها ، وستدفع العصابات اليابانية موت جنودنا سيولا من الدماء » .

استعد الروس لاسترجاع منطقة « تشانج كوفنغ » ، فظهر الجيش الروسي الأحمر الأول مرة فى القتال ، فقام فى ٣ أغسطس بهجوم عنيف على هذه المنطقة ، اضطر اليابان إلى دفع عشرين ألف مقاتل لصد هجوم الروس . ولم تكن هذه المعركة حاسمة ، ولم يتمكن الروس من استرداد المنطقة التى استولى عليها اليابانيون فى ٣٠ يوليه الماضي . على أن القتال لم يقف ، بل ازداد حماسة وشدة . فحدثت معارك ، أدت إلي تقدم الروس ، فأعلنت قيادة الجيش الروسى فى ٧ أغسطس أن القوى السوفياتية « أجلت بتاتا الجيش اليابانى عن الأراضى السوفياتية » . ولكن القامات اليابانية نفت بتاتا جلاء اليابانيين عن أكمة « تشانج كوفنغ » . ويظهر أنه فى ذاك التاريخ قد جلا اليابانيون عن قسم من المنطقة المختلف عليها ، وظل القسم الآخر تحت سيادتهم

واصل الروس القتال ، وتسلم المارشال بلوخر القائد العام للقوات السوفياتية فى الشرق الأقصى ، قيادة الأعمال الحربية ، فتقدم الروس وتراجع اليابانيون . وصدر فى موسكو بتاريخ ١٠ أغسطس بلاغ رسمي يقول : « إن تشانج كوفنغ التى وقع الخلاف عليها بين الروس واليابانيين أمست الآن فى أيدى الروسيين » .

وفى ١٠ أغسطس أيضاً أعلنت الهدنة بين روسيا واليابان ، وأوقف القتال فى ساحة « تشانج كوفنغ » عند ظهر اليوم التالى حسب توقيت الشرق الأقصى أي قبيل شروق الشمس فى بلادنا

كانت خسائر الطرفين حسب تقدير اليابان الرسمى ١٥٨ قتيلا و ٧٢٣ جريحاً من اليابانيين ، وما ينيف عن ١٧٠٠ قتيل وجريح من الروس . غير أن إحصاء الروس الرسمي ينص على أن عدد قتلى الروس ٢٣٦ ، وجرحاهم ٦١١ ، وعدد قتلى اليابان ٦٠٠ ، وجرحاهم ٢٫٥٠٠ . ومن الأكيد أن هذه الأرقام غير صحيحة لأن من عادة الدول المتحاربة محاولة إخفاء حقيقة خسائرها ، والمبالغة فى مقدار خسائر الخصم . والغاية المتوخاة من ذلك بيان تفوقها وتقوية روح جيوشها المعنوية من جهة ، وإظهار ضعف الخصم وإضعاف روحه المعنوية من جهة ثانية

* * *

لم يكن إعلان الهدنة مفاجئاً لأن المفاوضات لتصفية النزاع الروسى اليابانى كانت سائرة منذ ابتداء القتال . وكانت الدوائر السياسية الغربية تتفاءل تارة وتتشاءم تارة أخرى، ولكن التفاؤل غلب التشاؤم بتراجع اليابان عن موقفها

فكيف كانت المفاوضات ؟ وما هى شروط الهدنة ؟ وما هى الأسباب التى دعت اليابان إلى هذا التراجع ؟

على أثر دخول الجند الروسى القاطعة المختلف عليها قابل البارون سيجيمتسو السفير اليابانى فى موسكو ، الرفيق لتفينوف وزير خارجية روسيا عدة مرات طالباً منه سحب القوى الروسية من مقاطعة «تشانج كوفنغ». وكانت خلاصة الحديث الذى دار بينهما فى ٢٠ يوليو (تموز) أن الحكومة اليابانية مقتنعة بأن المنطقة الواقعة غربي بحيرة « كاسان تشانتشى » داخلة فى حدود منشوريا ، وأنها توافق على تعيين الحدود تعيينا دقيقاً، والدخول فى مفاوضة مع حكومة موسكو لهذا الغرض ؛ ولكن بعد أن يتم انسحاب القوات السوفياتية من المنطقة التى احتلتها . وقد رد وزير الخارجية الروسية على بيانات السفير اليابانى بأن الحكومة السوفياتية قدمت إلى السفارة اليابانية عدة وثائق منها معاهدة « هونتشون » والخرائط الملحقة بها المبينة للحدود بدقة وجلاء

تامين . وهـذه الخرائط والوثائق التي وقعها ممثلو الحكومة الصينية السابقة تثبت أن المنطقة الواقعة غربي بحيرة كاسان داخلة ضمن نطاق الحـدود الروسية ؛ وأن روسيا كانت ترسل إليها الدوريات العسكرية ولا تزال تفعل ذلك . فأبان السفير الياباني أن حكومته لن تكون مرتاحة إلى هذا الرد ، وأنه من الضروري اتخاذ تدابير تعيد الأمن إلى نصابه على الحدود ، وإلا اضطرت اليابان أن تستنتج من ذلك وجوب الالتجاء إلى القوة . فرد الرفيق لتفينوف أن مثل هذا التهديد لا يؤثر في روسيا ولا يخيفها. وعلى أثر ذلك قطعت المفاوضات

وبعد احتلال اليابان لتلول « تشانج كوفنغ » في ٣٠ يوليو (تموز) تلقى سفير اليابان في موسكو التعليمات من حكومته بأن يطلب من الرفيق لتفينوف استئناف المفاوضات بشأن « تشانج كوفنغ » التي قطعت في ٢٠ يوليو (تموز) فاجتمع السياسيان في ٤ أغسطس وبسط السفير الياباني وجهة نظر حكومته التي ترمي إلى تسوية النزاع بالطرق الودية . فأصر الرفيق لتفينوف على أنه يجب على اليابان قبل بدء المفاوضات أن تسحب جيوشها إلى وراء الخط المعين في الخريطة الملحقة بمعاهدة « هونتشون » المبرمة عام ١٨٨٦ . فأجاب السفير بأن الخريطة المذكورة التي لا يوجد لها صورة رسمية إلا في وزارة الخارجية في موسكو ، لا يمكن قطعاً اعتبارها المستند الوحيد الذي يستطاع استخدامه في تعيين الحدود ، لأنها لم تنشر قط ، ولأن السلطات اليابانية المختصة لم تعلم بها حتى الآن . على أثر ذلك انفض الاجتماع دون أن يصلا إلى نتيجة إيجابية

وفي اليوم التالي قابل السفير الياباني وزير الخارجية الروسية وعرض عليه اقتراح حكومته المشتمل على النقط التالية :

١ — انسحاب القوات اليابانية إلى المنطقة المتنازع عليها حول جبل « تشانج كوفنغ » .

٢ — تعهد روسيا بألا تحتل هذه المنطقة .

٣ — بقاء هـذه المنطقة منطقة حيـاد إلى أن تقوم لجنة بتخطيط الحدود .

فرد الرفيق لتفينوف على هذا الاقتراح بقوله : إن روسيا لا تدخل في أية مفاوضات قبل سحب القوات اليابانية داخل حدودها . وعلى أثر هذه العبارة استأذن السفير الياباني بالانصراف وارفض الاجتماع . وكان القتال في هذه الأوقات شديداً ، وهجوم الروس لاسترجاع منطقة « تشانج كوفنغ » قويا .

وفي ١٠ أغسطس اجتمع الرفيق لتفينوف والبارون سيجيمنسو واتفقا على شروط الهدنة التي تلخص كما يلي :

١ — وقف الحركات العسكرية ظهر يوم ١١ أغسطس حسب توقيت الشرق الأقصى أي الساعة الخامسة صباحا في موسكو .

٢ — بقاء قوات الفريقين في المواقع التي كانت فيهـا في منتصف ليل ١١ أغسطس .

٣ — تأليف لجنة مختلفة قوامها عضوان روسيان وعضو واحد ياباني ، وآخر منشوري لتعيين حدود المنطقة المختلف عليها، فاذا لم تتوصل هذه اللجنة إلى الاتفاق وجب عرض الخلاف على حكم يختاره الفريقان .

٤ — تستند هذه اللجنة في أبحاثها إلى الخرائط الملحقة بالماهدات المعقودة بين روسيا وحكومة الصين السابقة .

وبرغم الهدنة حدث في ١٢ أغسطس حادث جديد فحواه ، حسب تقرير السوفيت ، أن الجيش الياباني أخذ يتقدم، فجابهه الجيش الروسي على بعد مائة متر . وبقي الجيشان وجها لوجه حتى اتفقا على أن ينسحب كل منهما مسافة ثمانين متراً . وفي ١٣ أغسطس قدم الرفيق لتفينوف إلى السفير الياباني احتجاجا على « الاعتداء الجديد على حدود السوفيات » طالباً انسحاب القوى اليابانية ، ومهدداً باعتبار حكومة السوفيات الهدنة ملغاة فيما إذا لم تجب الحكومة اليابانية مطالبها . فانسحب الجيش الياباني ، في ١٤ أغسطس ، إلى الضفة اليمنى لنهر « تومن » داخل حدود كوريا ولم يبق جندي واحد في منطقة «تشانج كوفنغ » الواقعة على الضفة اليسرى .

كانت هذه الهدنة فوزاً سياسياً كبيراً للحكومة السوفياتية ، عزز نفوذها وهيبتها في الشرق الأقصى ، وذلك باكراهها اليابان على قبول شروطها من سحب الجيش الياباني من المنطقة المختلف عليها ، ومن تشكيل لجنة الحدود بحيث يكون فيها أعضاء للروس بقدر ما لليابان وحكومة منشوكو معاً . أما اليابان فكانت تريد أن يكون لكل من روسيا واليابان وحكومة منشوكو عدد متساو من الأعضاء .

وسبب تراجع اليابان هذا أنها يوم أقدمت على إخراج الجنود السوفياتية من هذه المنطقة بقوة السلاح ، كانت تظن أن روسيا ليست في حالة تمكنها جدياً من محاربتها ، وكانت تعتقد أنها

ستلقى من ألمانيا وإيطاليا مساعدة عملية ، عملاً بميثاق مكافحة الشيوعية وامتداد محور روما برلين إلى طوكيو

ولكن الحوادث لم تحقق هذا الظن، لأن حكومة السوفيات أظهرت بطريقة لا شك فيها أنها لا تتردد فى خوض غمار الحرب دفاعاً عن كرامتها وسلامة حدودها فى الشرق الأقصى . ولأنه ظهر وهن ميثاق مكافحة الشيوعية المراد منه مقاومة نفوذ السوفيت . إذ أنه لما استفسر سفير اليابان فى برلين من الهر ريبنتروب وزير خارجية ألمانيا يوم الاثنين الموافق ٨ أغسطس، عن مدى المساعدة التى تقدمها ألمانيا لليابان إذا خاضت غمار الحرب ضد روسيا ، أجاب الهر ريبنتروب بما معناه: أن ألمانيا مع ميلها إلى اليابان وتمنيها لها الفوز، لا تستطيع فى الوقت الحاضر مدها بمساعدة عملية فى حالة نشوب حرب يابانية روسية فأبرق السفير اليابانى فى برلين حينئذ إلى حكومته أن تعمل كل ما فى وسعها لعدم تمديد الخلاف مع روسيا

أما روسيا فسوف لا تكتفى بهذا الفوز الأدبى الذى أحرزته على اليابان لأن مسألة « تشانج كوفنج » لم تكن السبب الحقيقى فى النزاع الذى كاد يؤدى بها إلى الحرب « بل هناك سبب أعظم منه هو أن مصالحها الحيوية تقضى عليها بوقف المطامع اليابانية فى الصين عند حدودها ، فإذا لم تعدل اليابان عن هذه المطامع ، وتحل خلافها مع الصين على أساس يكفل للصينيين سيادتهم وسلامة بلادهم ، فالحرب واقعة بينها وبين روسيا، وربما تشترك فيها بعض الدول الغربية من أصحاب المصالح فى الصين

يوسف هيكل

آراء وتحقيقات

الخير والسعادة

الخلاف عليهما عند أكثر فرق الفلاسفة

للأستاذ عباس طه

منذ قرابة عامين عرضنا في بعض المجلات العلمية للبحث عن الفرق بين الخير والسعادة لماما ، ثم لمدى الخلاف بين المتقدمين من الفلاسفة وبين المتأخرين منهم فى ماهية السعادة وهل هى سعادة بالاضافة إلى غيرها أم هى سعادة مطلقة بغض النظر عما عداها من الاعتبارات ، وهل هى من ملابسات النفس الناطقة وحدها ، أو أن البدن أيضا من مقوماتها .

لكن البحث لم يتسق للكشف عن مبلغ آراء فرق الفلاسفة فى السعادة والخير يومئذ فى تلك المجلة . من أجل ذلك نحب أن نعرض لقراء الرسالة — بقدر — فى هذا البحث الراهن للسعادة فى رأى فيثاغورث وأفلاطون وبقراط ، وهؤلاء من متقدمي الفلاسفة ، ثم نعرض بعد ذلك لرأى ارستطاليس ، ثم نقارب بين رأى فيثاغورس ومتابعيه ، وبين جمهرة من المشائين حتى يتسق البحث على وتيرة واحدة ، ويجرى على سنن مستساغ .

فى الاتجاهات التى اتجه إليها فيثاغورث وأفلاطون وبقراط ومن إليهم تلقاء النفس الناطقة أن الفضائل الأربع التى هي قوام السعادة وعتادها حاصلة كلها فى النفس وحدها فليس لها مدد من الخارج ولا قوة تصدر عنها سوى النفس الناطقة ؛ ولذلك حينما عرضوا لتقسيم قوى النفس فى كتبهم اعتبروا كل هذه القوى منحصرة فى الفضائل الأربع وهى : « الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة » على ما سيجيء الكلام عنه في بحوثنا المتلاحقة المتعلقة بالنفس الناطقة ، ثم رتبوا على ذلك الاتجاه أن تلك الفضائل الأربع وحدها كافية لتكون قواما للسعادة فى فصولها المختلفة ، فلا يحتاج معها إلى غيرها من فضائل البدن ومميزاته ضرورة أن ذا النفس الناطقة إذا حصل تلك الفضائل مجتمعة فلا ينقض من سعادته أن يكون سقيما أو فاقداً لبعض أعضائه أو مبتلى ببعض صنوف العلل والأدواء إلا إذا تأثرت تلك النفس بأوصاب البدن وأسقامه فيما يصدر عنها من أفعال كفساد العقل واضطراب التفكير وضعف الروية والخلط بين الآراء ، فان ارتفعت كل هذه الأعراض على إصابة البدن بعلله وأوصابه فليس بضير النفس الناطقة فى شيء أن يعرض لها الفقر والخمول وسقوط الحال وخشونة العيش مثلا وكل ما هو خارج عنها فليس ما كان خارجا عن النفس الناطقة بقادح فى سعادتها . وبدهى أن فيثاغورث ومن لف لفه يذهب إلى أن السعادة لا تعدو النفس الناطقة فلا تتناول الأبدان ومميزاتها ، ويرتبون على ذلك الاتجاه أن السعادة والخير فى مختلف مناحيهما ليس لهما إلا مصدر واحد وهو قوى النفس الناطقة وبالتالى الفضائل الأربع ، وليس للبدن على هذا الاعتبار إلا مظهر آليته ، فالنفس مدبرة والبدن لها آلة .

أما جمهرة من الرواقيين فتذهب إلى أن السعادة والخير يصدران عن النفس والبدن معا . فاذا صدر الخير عن النفس دون تقدير لكفة البدن فانما يصدر ناقصا بالقياس إلى ما تتعاون النفس والبدن مجتمعين فى صونه وإبرازه .

يأتى بعد ذلك أرسطاليس فينحو نحواً آخر وهو أن السعادة والخير متخالفان ، ثم إن السعادة بعد ذلك مقولة بالتشكيك فهى معروضة للمقولات العشر

ومعلوم أن المحققين من الفلاسفة يحقرون شأن البخت والاتفاق وكل ما هو منقطع الصلة بترتيب الفكر وأعمال الروية ، ولا يؤهلون أصحاب هـذه الاتفاقات وحملة تلك المصادفات لاسم السعادة . فالسعادة فى أوضاعهم أمر قار غير زائل ، بل هم فوق ذلك يعتبرون كل مايصل الانسان من غير طريق التدبير والروية ومن غير أن يجرى على سنن له مقدماته ونتائجه ضرباً من ضروب البخت فهو قابل عندهم للبقاء والزوال والزيادة والنقص والتعديل والتجريح والصحة والفساد والرفعة والخفض وكل الأشياء ونقائضها؛ وتابعهم فى ذلك كثير من متأخرى الفلاسفة أخذا بنظرية صادقة عندهم وهى : من قدمه الانفاق فقد أخره الاستحقاق . وهنا وقع خلاف ذو شأن بين قدماء الفلاسفة ومتأخريهم فيذهب فيثاغورث وأفلاطون وبقراط إلى أن السعادة العظمى لا تتحقق للانسان إلا بعـد أن تخلع البدن وما يلابسه من غاشيات الطبيعة ، تطبيقاً لمذهبهم القائل بأن السعادة لا تحصل إلا فى قوى النفس الناطقة . من أجل ذلك أطلقوا على الانسان

أنه جوهر النفس الناطقة دون البدن، فحكموا بأن البدن ما دام سياجاً لها وقفصاً لإيوائها ، وما دام يخلع عليها غاشيات الطبيعة وأكدارها ولوثاتها وعلائقها فليست تلك النفس بسعيدة السعادة المطلقة الموموقة ؛ ومبعث ذلك الرأى عندهم أن النفس الناطقة لا تستوحى الكمال الذاتى والعقل النورانى ما دامت متصلة بتلك الهيولى التي تحجب عنها العلوم والمعارف الكلية ، إلا إذا فارقت ظلمة الهيولى ولوثة تلك الكدورة، وحينئذ تفارق الجهالات المتنوعة فتصفو وتخلص من ربقة البدن فتكتب لها الاضاءة ويواجهها النور الالهى . ويترتب على رأى هؤلاء بادى ذى بدء أن الانسان لا يظفر بالفوز الأكبر والسعادة العليا إلا فى حياة الجزاء بعد موته

لكن تأتى بعد ذلك جماعة أخرى من الفلاسفة المتأخرين وأرسططاليس منهم في الطليعة ، فتذهب إلى أن من الشناعة والعبث وتجاهل الواقع أن ينعت الانسان الذى يعمل الأعمال الصالحة ويعتنق الآراء الصحيحة ، ويجد فى تحصيل الفضائل لنفسه أولا ثم لأبناء جنسه ثانياً ، فينشىء صروحاً من الخير متنوعة، ويقيم أعماله وما يصدر عنه من الآثار على محبة القلوب وكسب ألسنة الناس فى سبيل إعلاء معالم الفضيلة والحق والنصفة وتحقيق معنى العدالة فى أنبل مثلها ــ بأنه شقى فى حياته الأولى وأنه لا يعتبر سعيداً إلا إذا فارقها وخرج من طبيعتها وملابساتها

فالسعادة فى رأى أرسططاليس ومتابعيه تتحقق فى الحياة الأولى تطبيقاً لنظرية اشتهرت بينهم ، وهى : أن الانسان عندهم مركب من بدن ونفس، ولذلك يحدون الانسان بالناطق المائت أو بالناطق الضاحك أو ما إلى ذلك ، وفرعوا على هذه النظرية أن السعادة تحدث للانسان إذا جد فى طلبها وسلك إليها الوسائل المؤدية إليها . غير أن أرسططاليس حين رأى أن السعادة قد أشكل فهمها على الناس واضطربت فيها آراء العلماء والفلاسفة ، عقد لها فى كتابه المسمى « بفضائل النفس » فصلا طويل الذيل ضافى التفاريع حافلا بالحجج والآراء ، فقال فى فاتحة هذا الفصل مع تصرف فى المبنى واحتفاظ بالمعنى : « من البين أن الفقير فى هذه الحياة يرى سعادته فى الغنى واليسار، وأن المريض يراها فى الصحة والسلامة، وأن الذليل يتمثلها فى الجاه والعزة والسلطان، وأن الخليع يلمسها فى التمكن من الشهوات المختلفة، وأن النبيل الفاضل الكريم ينشدها فى تعميم مناحى الخير وإفاضتها على مستحقيها ، والحد من طغيان ذلك الخير حتى لا يشمل غير مستحقيه » ويتحققها الفيلسوف المستقصى لحقائق الأشياء والمستتبع للابسات القواميس الكونية فى أنها إذ تكون مرتبة بحسب تنسيط العقل لها على معنى أن يلحظ فيها وقتها الذي يجب أن تقع فيه وكما يجب أن تكون وعند من يجدر فهى سعادات متنوعة، فما كان منها يراد لشىء يناسبه فذلك الشىء أجدر أن يطلق عليه اسم السعادة

ثم كشف بعد ذلك أرسططاليس عن رأيه فى بسط وإبانة ، فقال مع تصرف فى مبناه والاحتفاظ بمعناه : قلما يتاح للانسان أن يفعل الأفعال الشريفة المرضية دون مادة تقوم عليها كاتساع اليد وكثرة الأعوان وجودة البخت ، ويتضح ذلك جلياً فى صناعة المُلك والرياسات المختلفة حيث لا يواتيهم توطيد لأركان هذه الزعامة إلا مقترناً بالشرائط المبنية على أن هناك نوعاً من الأعطية هى عطية الله تعالى جده ، فهى السعادة لأنها عطية منه عز اسمه وموهبة فى أشرف منازل الخير وأعلى مراتبه ، وتلك الموهبة خاصة من خواص الانسان الكامل فلا يشاركه فيها من ليست إنسانيته تامة كالصبيان وما يجرى مجراه

وتلك النظرية تقوم على نظرية أخرى عند أرسططاليس فهو يرى أن السعادة تعتبر كذلك بالاضافة إلى صاحبها فهى كماله، فالسعادة على هذا الوضع خير ما ، وقد تكون سعادة الانسان غير سعادة الفرس وما إليه ، فسعادة كل شىء فى تمامه وكماله الذى يلائمه ، وهنا يفرق بين الخير والسعادة فيرى أن الخير من حيث أنه مقصود للناس جميعاً بالشوق إليه والعمل على تحصيله طبيعة تقصد ، وله مفهوم عام يدل عليه وهو الخير المطلق للناس من حيث أنهم كذلك . فالناس أجمعون محاصون فيه . لكن السعادة شىء آخر غير الخير عنده ، فهى خير ما لواحد من الناس، وهى بالاضافة ليست لها ذات معينة ، وهى تختلف بالاضافة إلى قاصديها اختلافاً يرجع إلى مؤهلاتهم وما ركب فيهم من فطر وممدات، ومن أجل ذلك يكون الخير المطلق غير مختلف فيه . وقد يظن بالسعادة أن تقع لغير الناطقين، لكن ليس على نحو من أنحاء الناطقين فانها إذا وقعت فانما هى استعدادات فيها بقبول كمالاتها الملائمة لها من غير روية ولا تدبير ، وهى بمنزلة الشوق أو ما يجرى مجراه من الناطقين بالارادة

فما يقع للحيوانات فى مآكلها واستجمامها لا يمكن أن يسمى سعادة بل الوضع الصحيح له أن يسمى بختاً أو اتفاقاً ، وجلى أن العقل بفطرته قد جعل للسعى والحركة والارادة المكتسبة للانسان حداً تنتهي إليه ، فذلك كان من المعقول أن وجد خير مطلق

لا تأباه طبيعة هذا الوجود ولا يوجد بين الناس خلاف عليه ، فالهمم والصناعات والتدابير الاختيارية المجدية مثلا ، كلها يقصد بها خير ما لوجه الانسانية على الأقل ولا يرتاب أحد في أنها كذلك وأنها تثمر ثمرتها المرجوة لها ، فكل تصرف لا يقصد به خير ما كان عبثاً والعقل يحظره ويأباه

فيكون الخير المطلق مقصوداً إليه من الناس أجمعين، لكن بقى بعد ذلك أن يعلم ما هو ذلك الخير المطلق ، وما الغاية القصوى منه التى هى غاية أنواعه وأعلى مراتبه ؟ وذلك ما سنعالج تبيانه بعد . غير أن أرسططاليس قسم الخير تقسيما مفصلا ونوعه تنويعاً يكشف عنه كثيراً من الابهام الذى وقعت فيه جمهرة من متقدمى الفلاسفة فهى ترى أن الخير أنواع وفصول ، فمنه ما هو شريف ومنه ماهو ممدوح ومنه ماهو بالقوة، فالشريف منها ما كان شرفه مشتقاً من ذاته بحيث يخلع الشرف على من قام به وهو الحكمة والعقل ، والممدوح منها كالفضائل والأفعال الجميلة الارادية . أما ما كان بالقوة فكالتهيؤ والاستعداد لقبول الأشياء التى تكون نوعاً من هذه الأنواع ، ومن الخير ما هو غاية ، ومنه ما ليس كذلك، ومن الغاية ما هو تام، ومنها ما ليس كذلك ؛ فما هو تام كالسعادة، لأن من بلغ إليها كان فى غناء عن أن يكون له وراءها مطمع في مزيد، وما هو غير تام كالصحة واليسار ، فان من واتته الصحة وواتاه اليسار لم يكن له عن طلب المزيد غناء ، بل ربما كانت الصحة أو اليسار من أقوى الحوافز له على طلب المزيد . أما الذى ليس بغاية منه فكالعلاج والتعلم والرياضة والعمارة والزراعة وما إلي ذلك . وجملة القول فى الخير على ما حققه أرسططاليس وحكاه عنه فرفوريوس أن من أنواع الخير ما هو خير على الاطلاق وما هو خير عند الضرورة . ومنها ما هو خير ولكن ليس من طريق له مقدماته ووسائله كالاتفاقات التى تتفق لبعض المجدودين من الناس، وأيضاً منها ما هو خير لجميع الناس ومن جميع الوجوه وفي جميع الأوقات. ومنها ما ليس بخير لجميع الناس ولا من جميع الوجوه (وبالتالى) منها ماهو فى الجوهر ومنها ماهو فى الحكم ، ومنها ما هو فى الكيف، ومنها ماهو فى الأين، ومنها ماهو فى المضاف، ومنها ماهو فى الخير . وعلى الجملة فالخير يعرض للمقولات العشر التى يعبر عنها الفلاسفة الأقدمون بأنها الأجناس العالية التى ليس فوقها جنس بل هى أعلى الأجناس جميعا فهى تحمل عليه حملا اصطلاحيا إخباريا. وقد أفاض ارسططاليس إفاضة مبسوطة فى تبيان هذه الأجناس العالية ، وعروض الخير لها دلالة منه على أن مناحى الخير غير محدودة ، وأن نعمة الله التى أسبغها على عباده أوسع من أن تضيق بها تلك الرقعة السوداء بل إن آثار الله وآلاءه مبثوثة فى كل جزء من أجزاء الكائنات ، حتى يبقى البرهان القاطع قائماً على شيوع الآيات الباهرة فى سائر مناحى تلك المجموعة الشمسية

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

وقد سلك ارسططاليس فى ذلك مسلكا يخالف مسلك المتقدمين من الفلاسفة كأفلاطون وبقراط ومن إليهما — فالمفهوم من تفاصيل مذهبه فى النفس الناطقة وفى الخير والسعادة التى تنفعل بها قوى النفس جلى ، بل إن الخير شيء غير السعادة وأنه شائع بأجزائه فى كل مناحى الوجود حتى سرى الخير إلى سائر المقولات سريانه إليها دليلا على ذيوعه وانتفاع الناس به . فالخير فى الجوهر وهو ما ليس بعرض يمثل له ارسططاليس بالحق تعالى جده، فهو الخير الأول على حد تعبيره ، فان جميع الأشياء تتحرق بالشوق إليه ولأنه يفيض السرمدية والبقاء على الخير الذى كتب له الخلود وعلى الآلاء اللانهائية ، وعلى كل مالا يطرأ عليه الفناء من أجزاء العالم الثانى الذى يعبر عنه المتقدمون من المتكلمين بعالم الجزاء . وفى الكم يمثل له بالمدد والمقدار المعتدلين ، ويمثل للكيف بالذائذ وألوان المتاع ، ويمثل لمقولة الاضافة بالصدقات والرياسات التى تنبعث عنها صلاحية تنطوى على خير الانسانية فى أكمل حدودها ، ويمثل لمقولة الأين بالمكان المعتدل فى ابعاده وأجوائه ومحيطاته وبالزمان الأنيق البهيج المتفتح الأكمام عن المرح والسرور . ويمثل لمقولة الوضع بالقعود والاضطجاع وسائر المشاهدات المؤثرة، ويمثل للعقل برواج الأمر ونفاذ الكلمة وسمة السلطان . وعلي الجملة فأنواع الخير عنده منها ما هو من قبيل المحسات ومنها ماهو من قبيل المعقولات. ولعل الأستاذ أحمد أمين، وقد أذاع على متن الأثير محاضرتين فى السعادة والشقاء ، يعود فيصحح بعض نظرياته التى طالع بها سامعيه . ولعل الأستاذ الشيخ أمين الخولى، وقد أذاع هو الآخر على متن الهواء محاضرتين أو ثلاثا لا أدرى فى الحياة المثالية والحياة البدائية وما يتصل بهما من قوى النفس الناطقة ، يعود هو الآخر فيصحح بعض نظرياته ليرضى الحق وهيبة العلم فى صميمه من جهة، ثم ليرضى فى الأقل سامعيه من جهة أخرى ، وموعدنا بالكشف عن ذلك كله سوانح مقبلة

عباس طه

التاريخ في سير أبطاله

ابراهام لنـــــكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادي ! خذوا معاني العظمة في نسقها الأعلى من سيرة هـذا العصامي العظيم ... ...

— ٢٢ —

جلس أبراهام ينتظر رد سيوارد بصبر فارغ وفؤاد قلق ، فانه ليعجب كيف يقف منه صاحبه مثل هذا الموقف ؛ على أنه لن يحجم عن مواجهة العاصفة وحده مهما بلغ من شدتها ، وإن كان ليود بينه وبين نفسه أن يكون سيوارد إلى جانبه في تلك الشدة التي تطيش في مثلها أحلام الرجال وإن كانت تزن الجبال... يود أن يستمين بصاحبه فهو واثق من كفايته مطمئن إلى إخلاصه

وما بال الرئيس تزداد سحابة الهم كدرة على محياه حتى ليبدو للأعين كمن أخذته غاشية من حزن أليم ؟ ما باله طويل الاطراق كثير الصمت ، لا يستمع إلى حديث زوجه إلا قليلاً ولا يشاطرها جذلها ومرحها ولا يشاركها ما دب في قلبها من الزهو بمـا باتا يتقلبان فيه من نعمة ويحظيان به من جاه ... ؟

إنما يكرب الرئيس ما آلت إليه حال بلاده، فما به خوف أو تردد وما هو عن البذل بضنين ؛ وإنه ليحزنه أن يكون بنو قومه بعضهم لبعض عدوٌ في غير موجب لذلك وهم عن الحق في عماية من تبلبل أفكارهم وتسلط العناد على نفوسهم ، وما له إلى هديهم بالتي هي أحسن حيلة

ورضى سيوارد آخر الأمر أن يعمل مع أبراهام ، وكان سيوارد قليل الثقة بكفاية صاحبه الارادية لأنه لم يسبق له أن شغل منصباً إدارياً قبل هذا المنصب الخطير ، ولذلك كان يطمع سيوارد أن تكون في يده السلطة الفعلية وتكون للرئيس الرياسة فحسب ؛ وبهذه الروح بدأ العمل مع صاحبه ...

واختار لنكولن رجالاً للحكومة كون منهم مجلسه ومن أشهر هؤلاء نشيس، وكان من أعظمهم كفاية بعد سيوارد؛ غير أنه لوحظ على الرئيس أن أربعة من رجال مجلسه كانوا منافسين له في الرياسة مما يخشى معه أن ينسوا الصالح العام من أجل العمل على توطيد مراكزهم توطئة للانتخاب القادم ، ولـكن لنكولن رد على هذه المخاوف بما ارتآه من اعتبارات أملاها عليه بعد نظره، فلـكل من هؤلاء شيعة وأعوان، وكل منهم يمثل ولاية من الولايات الشمالية ؛ هذا إلى ما يعلمه من كفايتهم ، وإنه ليركن إليهم مطمئناً إلى وطنيتهم قائلا إن الوقت عصيب فما يظن أن أحداً تحدثه نفسه أن يعمل لصالحه الشخصي في ظروف كتلك الظروف ...

ولما جلس لنكولن معهم حول المنضدة عرف كيف يؤلف بين قلوبهم وكيف يحملهم على احترامه ثم محبته ثم الاذعان له والتسليم بالتفوق . ولقد باتوا جميعاً يعجبون كيف يدير الأمور كما يلمسون رجل لم يعهد إليه مثل هذا العمل من قبل ، ولو لا أنهم يعرفونه جميعاً لما صدقوا أن هذه هي أول مرة يضطلع فيها بمثل هذا العمل

رأوه يخفض لهم جناحه ويبسط لهم مودته ويوسع صدره ؛ يستمع لآرائهم جميعاً ولا يتكلم حتى ينتهوا ؛ فاذا أعجبه رأى قبله مغتبطاً ، وإذا خالف أحداً في رأيه أظهر له في دماثة سبب مخالفته مع شدة الحرص على احترام شخصية من يخالفه وإظهار الاستعداد للاقتناع إذا استطاع محدثه أن يزيده إيضاحاً أو يسوق له الجديد من الحجج

وعرفوا من كثب خلاله فأعجبوا بأدبه وعذوبة روحه ونقاء سريرته وطيب قلبه ؛ ولمسوا شجاعته في الحق ، وأنسوا نكرانه لذاته ونسيانه كل شيء عدا رسالته التي يستمد منهم العون في أدائها ... وبلوا بأنفسهم صبره في الشدائد وعزيمته إذا هم بأمر اقتنع بصوابه ؛ وتبينوا حصافته وأناته وبعد نظره ، وبهرهم فوق هذا ذهنه الصفي ومنطقه المستقيم وفصاحته وفطنته ، تلك الخلال التي جعلته أقدر الناس فيهم على أن يفصح عن آرائه لمن إليه ، وأن يتبين ما يأخذ مما يدع في كل ما يعرض له من الأمور مهما تعقدت والتوت على غيره الأمور ...

ولقد عد كثير من المؤرخين إدارة لنكولن مجلسه على هذه الصورة مظهراً قوياً من مظاهر عظمته ، وناحية متينة من نواحي نجاحه ، وسلكوه بها في ثبت كبار الساسة في تاريخ الأمم ، ولا عجب فانه ليندر أن نجد في سجل الأيام مجلساً حكومياً شعر أعضاؤه من معاني الاحترام والمحبة بمثل ما شعر به أعضاء هـذا

المجلس نحو رئيسهم ... لا يستثنى منهم أحد ، حتى سيوارد الذى كان يدل أول الأمر بتجاريبه ودرايته بأساليب الحكم والسياسة ، ما لبث أن اعترف فى نبل وكرامة نفس أن رئيسه أقدر منه وأجدر بذلك المنصب ...

وكان أول ما تلقاه الرئيس من البريد فى صباح اليوم الثانى لتسلمه العمل خطاباً من الجنرال أندرسون فى حصن سمتر ينبئه فيه أنه ما لم يصل مدد إلى الحصن فانه لا يقوى على الدفاع عنه أكثر من أسبوع ... وكان أهل الجنوب وأهل الشمال على اتفاق ألا يهاجم أنصار الانسحاب من الاتحاد الحصن إلا إذا رأوا من أهل الشمال ما يبرر ذلك ... وماذا عسى أن يفعل الرئيس إذن؟ أيترك حامية الحصن بلا مدد أم يرسل المدد فيتحدى بذلك أهل الجنوب ؟ إن عليه أن يختار بين أمرين أحلاهما مر

لذلك أخذ الرئيس يتدبر عله يجد مخرجا ، وهو على عادته طويل الأناة لا يخطو خطوة قبل أن يحسب لكل أمر حسابا ، ولكن سيوارد يضيق ذرعا بهذه الأناة وينصح للرئيس أن يأمر بأخلاء الحصن ، وكذلك يشير عليه سكوت رأس جنده ؛ وهو لا يرى ما يريان فالمسألة دقيقة شائكة . أوليس التخلى عن الحصن معناه الاعتراف ضمنا لأهل الجنوب بصواب دعوتهم إلى الانسحاب؟ ثم أليس فى ذلك خروج على ما أعلن الرئيس فى خطبة الاحتفال ؟ وهو ان أرسل المدد إلى الحصن ألا يعتبر عمله هذا تحديا للثائرين فيكون بذلك هوالذى خطا أول خطوة نحو الحرب، الأمر الذى يحرص أشد الحرص أن يتجنبه ؟ ... إذن فلا بد من الروية والتدبر والصبر . . .

وجاء رجلان من الجنوب إلى العاصمة الشمالية كممثلين لدولة أجنبية يطلبان أن يفاوضا لنكولن على هـذا الأساس ، ولكنه رفض أن يلقاهما ولم يفعل أكثر من أن يرسل إلى كل منهما نسخة من خطبته .. وبقى الرجلان فى العاصمة يجمعان الأنباء ويرسلانها إلى أهل الجنوب ...

والصحف تهيب بالرئيس أن يأتى عملا إيجابيا ولكنه صامت يفكر .. والرأى العام يغلى كالمرجل حتى لقد أطلق الناس ألسنتهم فيه بالسوء من القول ، فالرئيس غر جبان ، متورط لا رأى له ولا بصيرة ولا حزم ... وتفرق الناس فى الشمال شيعا فنهم من يرى وجوب الحرب، ومنهم من لا يرضى إلا المسالمة والاتفاق، ومنهم من يتذمر ويتبرم ولكنه لا يرى شيئا ولا يحس غير القلق والخوف، والرئيس لا يجيب إلا بقوله «إذا أخلى أندرسون حصن سمتر فسيكون على أنا أن أخلى البيت الأبيض » ...

ويهتدى ابن الأحراج بعـد طول روية إلى رأى فيه دليل قوى على حنكته السياسية حتى لكأنه مارس السياسة طول حياته ، ذلك أنه يزمع أن يرسل القوت ليس غير إلى الحصن، وحجته أن ذلك عمل إنسانى لا عدوان فيه ، فاذا قبل الثائرون هذا حلت المشكلة ؛ أما إذا قابلوا ذلك بالقوة فعليهم إثم ما يفعلون، فهم بذلك يكونون بادئى العدوان ومشعلى نار الحرب . . . ولأهل الشمال بعد ذلك أن يدفعوا عن أنفسهم العدوان إن كانت فى نفوسهم حمية وفى رؤوسهم نخوة الرجال ...

وتسير السفن محملة بالقوت ، بعد أن يرسل الرئيس نبأ عنها إلى قائد الثوار حول الحصن ، ولـكن القائد لا يكاد يبصر السفن من بعد ، حتى يطلق النار على الحصن فيسقط علم الاتحاد وتنسحب الحامية بعد دفاع مجيد ...

ويثب أهل الشمال للنبأ وثبة واحـدة فلا خلاف بينهم بعد ذلك ولا تنازع ، وما فيهم إلا من يريد الدفاع عن الاتحاد ورد الأهانة التى لحقت بالعلم الذى طالمـا خفق على رأس وشنجطون وجنوده البواسل غداة حرب الاستقلال ...

وما حدث فى تاريخ العالم من قبل أن تحمس شعب إلى الدعوة للجهاد كما تحمس أهل الشمال يومئذ ؛ فلقد كان الشيوخ قبل الشباب يريدون خوض غمار الحرب، ولم يتخلف النساء ولم يقعدن عن شحذ العزائم واستنهاض الهمم وإن لم تكن هناك حاجة إلى سعيهن ... أما الشباب البواسل فقد استحبوا الموت على الحياة فساروا مغتبطين يطرحون نفوسهم تحت المنايا كأنما يسيرون إلى نزهة لا إلى مثل عذاب الجحيم ...

وهكذا تقع الحرب بين نصفى شعب واحد . ولقد كان الرئيس أكثر الناس فى الشعب جميعا تألما ، وكان قلبه الانسانى الـكبير يكاد يتفطر ، ولـكن ما الحيلة وهو يرى بناء الاتحاد أمام عينيه ينهار حجرا بعد حجر ؟

وحسبك دليلا على حماسة أهل الشمال أن الرئيس عند ما أهاب بالولايات أن ترسل إليه خمسة وسبعين ألفاً من المتطوعين ، هرع إليه أكثر من تسعين ألفاً ، وبعد شهرين وصل المدد إلى أكثر من ثلثمائة ألف من البواسل الأمجاد

وكان الموقف قبل وصول المتطوعين إلى العاصمة أشد ما يكون

هولاً وخطراً ... فلم يكن لدى لنكولن سوى ثلاثة آلاف، ولن يستطيع هؤلاء الدفاع عن العاصمة مهما كان من استماتتهم وشجاعتهم؛ لذلك سرى الخوف فى المدينة وأيقن أهلوها أنها واقعة فى أيدى الأعداء لا محالة

والرئيس ينتظر قدوم المتطوعين لانقاذ المدينة من الخطر المحدق بها؛ ذلك الخطر الذى تشتد وطأته تبعاً لمسلك الولايات المحايدة وعلى الأخص فرجينيا؛ إذ كانت تلك الولايات تقف من النزاع موقفاً مبهماً ظن من أجلها أنها تلتزم الحيدة وإن كانت فى الواقع تنزع إلى أهل الجنوب؛ وكانت فرجينيا أقربها موقعاً من وشنجطون لا يفصلها عنها إلا نهر ضيق. وسرعان ما أعلنت فرجينيا انضمامها إلى الاتحاد الجنوبى فبات العدو بذلك على أبواب عاصمة أهل الشمال، بل لقد كان البيت الأبيض على مرأى من الجند؛ لذلك شاع فى الناس أن الجند سيعبرون النهر عما قريب فيستولون على مركز الحكومة ويسوقون لنكولن ومجلسه أسرى بين أيديهم ...

وتزايد القلق وعظم الهول واشتد بالناس الكرب، والرئيس يسأل عن المتطوعين فلا يجد جواباً شافياً من أحد، حتى يصل إلى العاصمة قطار يهرول الناس على صوت صفيره إلى المحطة فتقع أعينهم على أول فرقة من فرق المتطوعين وهى فرقة نيويورك، وتعظم حماسة الجميع فيتصايحون ويرددون الأناشيد

ويظل الرئيس يبحث عن القائد الذى يوكل إليه أمر هذه الحرب فلا يجد غير رجل يدعى (لى)، وكان يومئذ غائباً فى فرجينيا وهو خير من يضطلع بهذا العبء، ولكن (لى) يرفض أن يأخذ قيادة الجيش، فيجزع لنكولن لهذا الرفض ويكتئب

وبينما هو يبحث عن قائد غيره ينذره أهل بلتيمون، وهم الذين تآمروا من قبل على قتله، أنهم لا يسمحون بمرور جند فى ولايتهم لأنهم محايدون ... وينقضون بعد ذلك على فرقة قادمة من مساشرست، كانت من أقوى الفرق وأعظمها نظاماً، فيقتلون عدداً منها ويجرحون عدداً، ويحمل الجرحى على محفات إلى وشنجطون، فتلهب جراحهم حماسة القوم وتستثير حميتهم وتزيد بأسهم ...

ولم يكتف الثوار فى بلتيمور بما فعلوا فحطموا الجسور التى تصلهم بالشمال والغرب، وعطلوا الخطوط الحديدية المؤدية إلى وشنجطون ... ولكن أحد القواد الشجعان الموالين للرئيس لنكولن خرج من وشنجطون على رأس عدد من المتطوعين وباغت المدينة ليلاً وقبض على كثير من الثوار وقتل نفراً منهم ففت ذلك فى عضدهم، وأعلنت ولاية مارى لند بعد أن خضعت عاصمتها على هذا النحو انضمامها صراحة إلى الاتحاد، وكانت هذه الخطوة من جانب أهل الشمال أولى خطواتهم الموفقة

وأعلن الرئيس لنكولن الحصار البحري على موانى الاتحاد الجنوبى ليقطع الصلة بينها وبين العالم، ثم أهاب بالولايات الخاضعة له أن تمده بمدد جديد من المتطوعين، فما لبثت أن أمدته بما طلب، حتى لقد غصت وشنجطون بهؤلاء المستبسلين الذين أراد لنكولن أن يستعيض بحماستهم عما يعوزهم من التدريب والنظام

وفى تلك الأيام العصيبة نرى دوجلاس خصم لنكولن القديم يسعى إلى البيت الأبيض ويقابل الرئيس ويفضى إليه باعجابه بما انتهج من خطة، ويعده أن يظل إلى جانبه خادما لقضية الاتحاد وتتوثق عرى المودة بين الرجلين، ويستأذن الرئيس صديقه الجديد أن يذيع فى الناس هذا النبأ، فيأذن دوجلاس مغتبطا بعد أن يقرأ ما أعد للنشر؛ ويقابل الديمقراطيون وغيرهم هذا النبأ بالابتهاج، ويشعرون بقوة جديدة يظفر بها أهل الشمال

ولا ينى دوجلاس يدافع عن الرئيس وسياسته يخطب الناس فى المدن يستحثهم إلى البذل والتضحية؛ ولا يفتأ يضع بين يدى الرئيس من نصحه ومشورته ما يحرص الرئيس على الانتفاع به. ولكن يد الموت لا تمهل دوجلاس أكثر من شهرين فيلاقى حتفه، ويتلقى لنكولن نبأ الفجيعة فيذرف الدمع السخين ويشتد به الغم حتى يرمض فؤاده ...

ولقد امتدت يد الموت قبل دوجلاس إلى شاب مجاهد كان أول أمره يعمل فى مكتب لنكولن أيام كان يحترف المحاماة؛ ولقد أعجب لنكولن بذكاء هذا الشاب وملك قلبه شدة محبته له، فلما سار إلى العاصمة سار معه؛ ولما تحرجت الأمور، برز هذا الشاب الباسل الذكى يجمع الفرق ويدربها ويعدها للنضال ... إلى أن كان ذات يوم فأرسله لنكولن إلى ضفة النهر المواجهة للعاصمة ليحتل المرتفعات هناك ...

ثم ان هذا الشاب الذى يدعى الزورت ذهب على رأس جنده فاحتل الأماكن المعينة؛ وهناك بصر بعلم من أعلام الثوار يخفق

دمعة

لشاعر الحب والجمال لامرتين

للاديب عارف قياسه

فلنقطف الورود فى غدوة حياتنا ، ولنجن الرياحين فى بكرة أعمارنا ، ولننسم على الأقل أريج أزهار الربيع الخاطف ، ولنغمس قلبينا فى فيض اللذة النقية الطاهرة ، وليكن هوانا يا حبيبتاه بحراً مسجوراً لا حد لسعته

* * *

حين يبصر الربان زورقه الهش يتراقص فوق أعراف الموج الثائر ، ويرجحن على غارب الآذى الغضبان ، يكاد يزدرده اليم المائج ، يرجع ببصره إلى الشطآن التى نأى عنها ، ويأسف على ما ذاق فيها من متع ، وما رأت عيناه من مباهج وفتون

* * *

واحسرتاه ! لشد ما يرغب فى أن ينفق أيامه الداجية فى مثوى آبائه وأجداده — غنياً عن فراق وطنه وآلهته — آمن السرب ، ناعم الخاطر ، لا يشمخ المجد بأنفه ، قرب آثار عزيزة عليه ، أثيرة لديه ، لا يبارح طيفها خاطره ، ولا يفارق خيالها ذهنه ولا مشاعره

* * *

كذلك الرجل الذى تقوس ظهره تحت أعباء السنين ، وآصار الأعوام ، يبكى ربيعه البهيج الزاهى — وقد ذهب إلى غير معاد ، قريح العين ، كليم الفؤاد ، ويهتف :

« ردى على يا آلهتى الرحيمة تلك السويعات المضمخة باللذة والنعيم ، فقد أنسيت أن أرشف رحيقها فى حينه ! »

ولكن المنية وحدها هى التى أجابته ، وتلك الآلهة لم تصخ لرجائه ، ولم ترق لبكائه ، وإنما حدته إلى الرمس حدواً ، وزجته فى غياهبه زجاً ، دون أن تأذن له فى أن ينحنى فيلتقط تلك الأزاهير التى لم يتح له أن يجنيها ، فيستروح عرفها وشذاها ، ويفعم أنفه بعبقها ورياها

* * *

فلنتساق يا حبيبتاه أكؤس الهوى مترعة دهاقاً

ولنضحك ملء أفواهنا من الهموم التى تساور نفوس الأحياء ، وتخامر قلوب الأشقياء !

ولنرث لأولئك الذين أفنوا شطر أعمارهم ، سعياً وراء حطام الدنيا الكاذب ، وهبائها المغرور

* * *

لنعزف عن صلف أولئك الفارغ ، ولنصدف عن ادعائهم الأجوف ، ولندع الأمل المريض لملى الانسانية ، يتملون به ويتفكهون ، ولنسارع نحن إلى احتساء كأس عمرنا حتى ثمالتها ، ما امتطت تلك الكأس أكفنا

* * *

وسواء علينا أزانت مفارقنا تيجان الغار ، ونقشت أسماؤنا فى سجل (بلون[1]) الصلفة الراعف ، على المرمر أو الفلز

أم توج الحب جباهنا المتواضعة بزهرات بسيطة جناها الجمال ، فاننا جميعاً فى يم واحد طاوون ، وعلى شاطئ واحد لمتحطمون

* * *

أليس سواء لدى المسافر الفريد ، ساعة الغرق : أكان راكباً فى سفينة شامخة شماء ، تشق بحيزومها عباب الماء ، تجاهد الزعازع وتصارع الأنواء ، أم كان ممتطياً زورقاً خفيفاً تلعب به الأمواج ، يلامس الساحل ، ولا يجسر أن ينأى عنه ؟

حماة (سوريا) عارف قياسه

(١) Bellone إلهة الحرب عند الاغريق

على جدار فندق فى مدينة صغيرة تسمى الأسكندرية فتسلق الحائط فى بسالة عجيبة وانتزع العلم من موضعه ، وبينما هو نازل من أعلى الجدار إذ أصابته رصاصة فانكب على وجهه ، وتدفق الدم من قلبه على هذا العلم ، فكانت ميتته هذه ميتة بطل ، تركت فى نفوس أصحابه مالا يتركه النصر فى معركة حامية ... ولا تسل عما أصاب ارثيس يومئذ من هم وحسرة ... لقد حزن على هذا البطل كما كان يحزن لو أن الميت كان وحيده ؟ وجاءت بعده منية دوجلاس فكانت الميتتان فاتحة الكوارث فى هذا النضال المغلم ...

« يتبع » الخفيف

حول قصة حاجى بابا فى انكلترا

كما يرانا غيرنا

للأستاذ عبد اللطيف النشار

أشارت الرسالة فى عددها الأخير إلى ما يخشاه بعض إخواننا الايرانيين من اللبس بين إيران كما هي اليوم فى مدنيتها الزاهرة وبينها كما وصفها مؤلف قصة حاجى بابا فى انكلترا، تلك القصة التى ترجمتها وتفضلت مجلة الرواية فنشرتها في بعض أعدادها الأخيرة

ولقد ذكر الأستاذ صاحب الرسالة أن مؤلفها نشرها فى سنة ١٨٢٢ ووصف بها إيران كما كانت فى عهده غير متجن على الشرق كله، فما كان الوصف إذ ذاك قاصراً على دولة دون دولة من الشرق الاسلامى

وما من شك فى أن هـذا الجواب السديد جدير بأن يزيل كل لبس من هـذه الناحية ؛ وقد عنَّ لى أن واجباً علىَّ بيان السبب فى ترجمتى هذه الرواية لازالة لبس آخر أخشاه من ناحية الاختيار ، فأتقدم إلى قراء الرسالة وهم ممثلو كل الأمم الشرقية الاسلامية بأن جهـدى فى الترجمة لم يقتصر على تلك القصة ، ولكننى ترجمت نحو الخمسين رواية معظمها عن الشرق وفيها عن مصر وعن العرب ، وفيما ترجمته عن مصر وعن العرب نقد أشد مما احتوته قصة حاجى بابا ، فاختيارى قائم على الرغبة فى إطلاع الشرقيين وهم جميعاً إخوانى على ما يكتب عنهم بلغة اعتدت القراءة بها ليعرفوا رأى الغير فينا . ولا أرانى أقل غيرة على دولة شرقية منى على دولة أخرى ، فان الدم الذي يجرى فى عروقنا نحن الشرقيين دم مشترك . لا بل أجد الفرصـة مناسبة لأطرح على القراء رأياً لى فى اختيار الكتب للترجمة :

للمستشرقين جهود غير منكورة ولهم أغلاط شنيعـة . وكتبهم مقروءة باللغات الأوربية بين من يثقون بهم ويجلونهم ويعدونهم حجة . وكتب هؤلاء المستشرقين وتلاميذهم تعـد بالمئات وكتب الذين ينهجون نهجهم ممن لا يساوونهم فى المعرفة أكثر عدداً . ومن بين قرائها شرقيون قد يتأثرون بها ويعجزون عن دفع شرها إن كان — فهل يحسن بهم أن ينقلوها إلى لغاتهم الشرقية ليتولى دفع الشبهات من يستطيع ذلك من أبناء تلك اللغات الذين لا يعرفون لغة أجنبية ، أو الذين يعرفون ولكن لا يقع فى متناول اطلاعهم ذلك النوع من الكتب المزوج خيرها بشرها ؟

أقول ذلك وأضرب المثل بنفسى ولدىَّ بحمد الله من الشجاعة ما يساعدنى على الاعتراف بأنى لا أملك تصحيح أخطاء شنيعة فى كتاب أترجمه الآن عن الانكليزية وعنوانه « الواثق »

فى هذا الكتاب تجن شديد على خليفة من خلفاء المسلمين وافتيات صريح على التاريخ . وقد قرأته فى لغته وقرأه من أبنائها عشرات الألوف فى مدى مائة عام مضت من عهد تأليفه إلى الآن؛ وقرأه باللغات الأخرى عشرات الألوف من أبناء الأمم الأخرى ؛ فهل يرى الأزهرى والدرعمى وخريج مدرسة القضاء الشرعى وغيرهم ممن تخصصوا في دراسة التاريخ الاسلامى أن يظل هـذا الكتاب مقروءاً ممن يحسنون لغة أجنبية دون أن تصحح أخطاؤه ، أم يرون أن يترجم لهم وهم أقدر على التصحيح ممن يقرؤون عادة باللغات الأجنبية ؟

أنا لا أقوم بدعاية لكتاب كهذا حين أترجمه ومن السهل علىَّ تمزيق مسودانه . ولكن هل يزول أثر الكتاب إن فعلت ذلك أم يظل منتشراً بين الناس فى لغات أخرى يقرؤها الكثير من الشرقيين؟

أما أنا فرأيي أن نعرف رأى الغير فينا فذلك أدنى إلى تصحيحه وما أحوجنى إلى معرفة الحجج التى يدلى بها أنصار التجاهل

عبد اللطيف النشار

بين اللغة والأدب والتاريخ

الفـــالوذج

للأستاذ محمد شوقي أمين

— ٣ —

صنفه السوقي ، هل وضع له اسم عربي ، قول الثعالبي ، نقل السيوطي ، رأى السكندري ، فصيح الألفاظ في معناه

— ٤ —

ولما تألق الفالوذج في دنيا المطاعم ، وازَّينت به موائد الأمراء ، تسامع به العامة ، فتحلبت له شفاههم ، وتشوفت إليه شهواتهم ، فراح السوقيون من صنّاع الأطعمة وباعتها يلهوجونه على مايعرفون من صفته ، فيخرجونه مسيخاً مليخاً لاتأنق في طهيه ، ولا استجادة لمادته ، حتى يتسنى لهم أن يبيعوه بالثمن القليل الذى لايعجز عنه طاقة العامة من رقاق الحال وذوى العسرة . ولم يكن هذا الصنف المبتذل من الفالوذج إلا بهرجة صبغ ، وتضوُّء بريق فافتضح على الأيام زيفه ، وثارت لأذواقها الألسنة بذمه ، فقيل في كل من حسنت جهيرته ، ولم تطب سريرته : فالوذج السوق[1] وصارت الكلمة مثلاً سائراً يتناقله الأدباء والشعراء ، ومن أمثلة استعماله قول ابن حجاج ، وهو الشاعر المزاح السليط الذى ترجم[2] له الثعالبي فأوفى :

أعززْ عليَّ بأخلاق وُسِمتَ بها عند البرية يا فالوذج السوق !

وقد أثبت الميدانى هذا المثل في أمثال المولدين ، وأضاف إليه توأماً له ، ذلك هو : فالوذج الجسر[3] . ولا بد أن يكون باعة هذا الصنف الملهوَج كانوا يجولون به ، فيعرضونه للعامة في الطرق الصادرة الواردة . وبديه أن من أحفلها بالناس : المَعْبَر . فهو ملتقى السابلة من الطبقات العاملة ، يغدون على الحاجات ؛ ويروحون بالسلَع . فيلون لهواتهم بالفالوذج المسموع به ، الشهى مذاقه ، الرائع منظره ، ومن ثم شاع اسم فالوذج الجسر ، إلى جانب فالوذج السوق ، وكانا مثلين لذى المظهر بغير مخبر !

— ٥ —

أسلفنا القول في صفة الفالوذج ، على ما استنبطناه مما أنهته إلينا نقول الأدب والطرائف ، وأدرنا الحديث قبل ذلك في لفظه والوجه في تعريبه كما تعرفناه في نصوص المعجمات وما في حكمها . فبان لنا أن اللغويين مجمعون على أنه معرب ، فهو في عديد الألفاظ التى اغتنمت العروبة ، وارتضى تجنيسها القُوّام على الفصاحة

وبقى أن نعرف : هل وضع العرب لهذه الحلواء اسماً فصيحاً غير اسمها الأعجمى ، أو اكتفوا باستعمالهم لهذا الاسم بعد تعريبه وإلحاقه ببنات الضاد ؟!

ساق الثعالبي جملة أسماء تفردت بها الفرس دون العرب ؛ وقال[1] : إن العرب اضطرت إلى تعريبها أو تركها كما هى ، وجمل يعد من هذه الأسماء ، فإذا من بينها الفالوذج . وقد نقل السيوطى[2] فصل الثعالبي برمته ، ما تعقبه بنقد ، ولا استدرك عليه من شئ . فهل يريدنا ذلك على أن نعتقد أن العرب اكتفوا بالاسم الأعجمى ، ووقفوا عنده ، فلم يضعوا لهذه الحلواء لفظاً تقر به عين الزارين على التعريب مهما تمس إليه الحاجة ، الضانين بالجنسية العربية على الدخيل ، وإن ملك الألسن ، وتراوحت عليه الأحقاب ؟!

إن قول الثعالبي ونقل السيوطى خليقان أن يهيئا للباحث هذه العقيدة ، ويغرياه بها . ولعل ذلك هو الذى مهّد لعلامة الفقه اللغوى الشيخ أحمد الاسكندري — رضوان الله عليه — أن يقول فيما يستعمل من الألفاظ ومالا يستعمل[3] : « وإذا سبق أن استعمل لفظ أعجمى زمن العرب كالفالوذج الذى عرف من أيام الرشيد ، فمثل هذا في الواقع لم يكن من تعريب العرب ، بل أطلقه طباخ أعجمى ، وسمعه العرب واستعملوه ؛ فمثل هذا إذا وُفِّقنا إلى لفظ عربي سهل له ، استغنينا عنه ، لأن الواضع له في الحقيقة أعجمى لا عربى ...»

فأما قول العلامة الاسكندرى إن الفالوذج ليس من تعريب العرب ، فهو قول ينفرد به ، ولم أجد من سبقه إليه ، بل لقد أصفق اللغويون على أنه معرب ، وقد جاء في حديث للنبي صلوات الله

(١) شفاء الغليل (حرف الفاء)
(٢) اليتيمة (الثالث)
(٣) الامثال (الثانى ٣٣)

(١) فقه اللغة (٤٥٤) (٢) المزهر (الأول — ١٦٣)
(٣) محاضر المجمع اللغوى (الدورة الثانية — ١٣٩)

عليه(١) ، أضف إلى ذلك أن العلماء القدامى ناقشوا فى تصريفه ، وجادلوا فى تعيين حروفه . ولا يأخذ لغوى نفسه بهذا الصنيع ، إلا إذا كان اللفظ معربا أفسح له فى البقاء ، فوجب توضيح زيه وشارته التى سيبقى بها فى وطنه الجديد . وإن لزاماً علينا أن نشير إلى أن قول الأسكندرى إنما جاء فى عرض حديث شفوى شأنه الإعجال والارتجال ، وهو منقول عنه ، ومنسوب إليه ، لا مكتوب بقلمه ، ومثل هذا لا يؤخذ به صاحبه كما يؤخذ الكاتب راجع ما كتب وحققه على نص ما يريد . والرجاء أن نكون بذلك قد أنصفنا ذكرى رجل نعرف له الفضل والبصارة ، ونطوى له النفس على التجلة والإكبار .

وأما رغبته فى البحث عن لفظ عربى ، يوضع للفالوذج اليوم جديداً من الوضع ، فقد أداه إليها ما علمه وقدمنا بيانه من قول فقهاء اللغة : إن العرب تركوا الفالوذج على ما هو عليه ، فأفهم قولهم هذا أنه لم يوضع له فى سالف الزمن لفظ فصيح ؛ ومن ثم وجب عنده أن نعمد إلى البحث والتفتيش حتى نوفق إلى لفظ عربى سهل ، نستغنى به عن الاسم الأعجمى ، كما توضع اليوم المصطلحات الجديدة للأشياء المستحدثة بالطرق المعروفة من نحو المجاز والنقل والاشتقاق .

— ٦ —

ولقد رصدت عينى منذ عهد ممدود لهذا الشأن فيما أرتصدها له من مباحث الفصحى ؛ فتتبعت مواقع الفالوذج فى أشتات الكتب ، وفتشت عن ألفاظه فى أجلاد الألفاظ ، واستقريت منها ما راج لى أن أستقرى ، فتحصل لى من صحاح العربية : اثنا عشر لفظاً ، وضعها العرب ليقوم كل منها مقام الفالوذج الأعجمى . ولم أر من المتحققين باللغة من استوحى هذه الألفاظ ، فلاءم بينها بعد الشتات والفرقة ، وسوى بها فصلاً من فصول الفقه اللغوى ، على نحو ما يصنع الأئمة فى المعنى يؤدى بغير لفظ فذ ، فقد ظلت هذه الألفاظ فى المعجمات اللغوية أباديد ، فجمعها فى هذا المعرض فصل من نتاج الاستقراء والتلقط جديد ، لم يسبق إليه أحد ، فيمن أجد ، ولا مسه قلم فيما أعلم .

« للبحث صلة » محمد شوقى أمين

(١) شفاء الغليل (١٦٨)

لمناسبة الرحلة الملكية في الصحراء الغربية

لسان الصحراء
في رحلة جلالة الملك
للمرحوم مصطفى صادق الرافعي

« فى شهر أكتوبر من سنة ١٩٢٨ قام المغفور له الملك فؤاد برحلة إلى الصحراء الغربية وواحة سيوة، وكان المرحوم الرافعي يومئذ شاعر جلالته وحادى ركابه؛ فأنشأ هذه القصيدة يتحدث فيها عن الصحراء لمناسبة هذه الرحلة الميمونة

« واليوم — وبعد عشر سنين كاملة — يقوم جلالة الملك فاروق الأول برحلته إلى الصحراء ليرود المعالم التى رادها من قبل والده العظيم؛ فلعل فى نشر هذه القصيدة لهذه المناسبة ما يقوم بواجب الولاء ويبعث طيب الذكرى »

سعيد العريان

تَسَاءَلَ القفرُ إذ حلّ المليكُ به ... أدار بى موضعى أم حان تجديدى؟
أم بعد زرعى دهوراً لا حصيدَ لها ... من التواريخ، آن اليوم محصودى؟
رَمْلى على الأرض كالدينار من ذهب
مُلْقًى ضَيَاعاً وموجوداً كمفقود
أم غَيَّرَ اللهُ أيامي فأسعدنى ... مليكُ مصرَ بيوم منه مسعود؟
كأن لى زمناً ما كان من زَمَنٍ ... وَلا مَشَى بحسابٍ أو بتعديد
والوقت يخضع للساعات تمسكه ... بكل ثانية من غير تبديد
وساعة القفر قفرٌ، فالثلاثُ بها ... كالخمس، كالتسع، لا معنى لتحديد
أم طُولُ صبرى على الفِقدان عوّضنى
بأن يزور قفارى خيرُ موجود؟
شمسٌ من الله فى صدرى وما كملتْ ... إلا بشمس من الإنسان فى جيدى
أم ما لقيتُ من الحرمان كافأنى ... بأن يحلّ بأرضى سيّدُ الجود؟
مَلْكٌ كأن نباتَ العزّ فى يده ... تجنيه من ذهبٍ أيدى الجاهيد
ويسحر الأرضَ حتى الأرضُ من أُفُقٍ
ويسحر الوقتَ حتى الوقتُ من عيد

أم ذاك حُلْمُ الصحارى بالنعيم سَرَى
وَمَرَّ منطلقاً فى هجعة البيد؟
فى القفر دنيا ورا الدنيا نفرُّ لها ... على مطايا الكرى من عيش تنكيد
إنى كقطعة وحش صُوِّرَتْ بلداً ... أرضى سواء وإنسانى وجُلمودى
وَعُودُ آدمَ عُريانٌ بلا ثمر ... وزهرُ حواء محطومٌ بلا عود(١)
فلا بَنِيَّ لهم دنيا تَعُدُّهمو ... فيها، ولا أنا فى الدنيا بمعدود
لو أنزل الله سقفاً من كواكبه ... لهم لَبَنَوْا لما هَمّوا بتشييد
لو أمسكوا ظلَّ طير الجوّ فى قفص ... ما أمسكوا ظِلَّ عُمرانٍ بمجهود
وفى عريض فجاجى الشمسُ طالعةٌ ... تزيد فى ظلماتى الحيّةِ السودِ
فى الجدب، فى الوحش، فى الأحياء، فى زمنى
وفى طبائع أرضى، فى تقاليدى
فاليوم أعرض آمالى على ملكي
وهو الكفيل بمرجُوّى ومقصودى
لعلنى خطَّ لي منه كتابُ هُدًى ... وما زيارته إلا كتمهيد...
لبّيكَ يا مُعضِلات القفر قد بعثتْ ... لك العنايةُ صنديدَ الصناديد
آباؤه الصيدُ هِمّاتٌ مُجَمَّعَةٌ ... فيه، وزاد على آبائه الصيد
رَحْبُ الأماني وثّاب على فُرَصٍ ... ما أطمعتْ غيرَه فى غير تزهيد
يرمي بِحَبْلَيْهِ: محلولٍ وَمُنعقدٍ ... فيها على كل محلول ومعقود
سرُّ اللُّيوث بعينيه، فنظرته ... فيها اكتشافُ فريسات المواعيد
وتحت راحته سرُّ السيوف، فإن ... أشار راعَ كسيفٍ عند تجريد
وفى أنامله سرُّ الأعنّة: لا ... ينفكّ يطلب ميداناً لتأييد
مليكُ معجزةٍ فى أرض معجزةٍ ... مخلّدُ الحمدِ فى تاريخ تخليد
وما يُسَدُّ طريقٌ دون غايته ... طريقُ كلِّ سعيدٍ غيرُ مسدود

* * *

ستستفيض على الصحراء همتُه ... مُجاجةً بالمشاريع الحاميد
فيُولَدُ الزمنُ المشبوبُ من زمن ... فانٍ تَكَلَّحَ فى تلك التجاعيد
هيهات هيهات ما بينى القفار سوى ... صبرٍ كصبر (فؤادٍ) غير محدود
هُمُ الأعاريب فى تلهيب جمرتهم ... مثلُ البراكين لن تحيا بتبريد

(١) عود آدم: كناية عن الرجل؛ وزهر حواء: كناية عن المرأة.

تسبيح ... !

للأستاذ سيد قطب

لعينيك تسبيحي وهمس سرائري   وفي صمتها الوحي مَرادُ خواطري
تطل على الدنيا فتوقظ قلبها   وتمنح هذا الكون إيمان شاعر
وتسكب في ألحانه عبقرية   من الفن لم تخطر بآمال ساحر
وتجلو من الدنيا عميق فنونها   وتكشف في أطوائها كل خاطر
ومن عجب توحي بفتنة ساحر   وتهمس في صمت بتقديس طاهر

* * *

لقد شف هذا الوجه حتى كأنه   خواطر فنان ندىّ المشاعر
وقد رق هذا الجسم حتى كأنه   هواتف حلم ناعمات البشائر
وقد رق هذا الصوت حتى كأنه   أغاريد لحن في السموات عابر
وقد خف هذا الخطو حتى كأنه   مرور نسيم بالأزاهير عاطر
وخلتك طيفاً هامساً في ضمائري   وإنك طيف هامس للنواظر !

* * *

لأيقظت في نفسي سعادة شاعر   وراحة موهوب وغبطة ذاخر
وأشعرتني معنى الطلاقة والرضا   ومعنى الغنى عن كل آت وغابر
مدى فيه من أفق الخلود مدارج   رقيتُ إليها في سنى منك باهر
سبقتُ به خطو الحياة لنهجها   وجزتُ به آفاقها في المعابر
فيا لك من هادٍ سَنِيّ المنائر   ويا لي من سارٍ وَحِيّ البصائر

« حلوان »   سيد قطب

يا للعزيمة لو أخرجتهم عربا   تحت القوانين أحراراً بتقييد
إذن لضاعفَ مِصراً سحرُ ساحرِها
وابتزَّ ممدودَها من غير ممدود
النيل كنزٌ من الخضراء منكشفٌ
في جنب كنز من الصحراء مرصود
عزَّ الذي جمعَ الكنزين في يده   يحمي بكنزِ زئيرٍ كنزَ تغريدِ

مصطفى صادق الرافعي

أنتِ

للأستاذ عبد الحميد السنوسي

أنتِ جدّدت لي شبابي وقد كنـ   ـتُ دفنتُ الشباب من أزمان
أنتِ جمّلتِ لي الحياة فأصبحـ   ـت أراها كما تشاء الأماني
ومحوتِ الظلماء فاختلب النو   رُ عيوني وانساب في وجداني
أنتِ صورتِ لي الوجود وما فيـ   ـه جميعاً بريشة الفنان
وخلقتِ الحياة خلقاً جديداً   ونفضتِ الترابَ عن أكفاني
أنتِ زخرفتِ لي معالم دنيا   ي فأتقنتِ أيما إتقان
ونفيتِ الركود عني فهبَّ الـ   ـقلب كالبحر صاخب الإرنان
أنت أفهمتني الذي كنت لا أد   ريه في الكون من خفيّ المعاني
وجلوتِ الأسى وغالبتِ همي   وشفيت الفؤاد مما يعاني
أنتِ فجّرت في الجوانح ينبو   عاً من الشعر زاخراً كل آن
وأزحت الستار عن عالم الصمـ   ـت فأطلقت عقدة من لساني
أنت أنشأتِ في جنانيَ كوناً   أي كون أنشأته في جناني !
فائضٍ بالنعيم والخير والنو   ر وبالحسن والهوى والحنان
أنتِ قرّبتني إلى الخلد حتى   أصبح الخلد قطعة من كياني
أنتِ علمتني الغناء فغنّيـ   ـتُ وأشجيتُ كل قلب مُعاني
غرّد الحب في فؤادي فردد   تُ صداه الشجيّ في ألحاني



الى وزارة المعارف

فى هذا العدد والذى قبله والذى بعده بحث جليل قيم فى قواعد اللغة العربية وتيسيرها لعلم من أعلام التربية والتعليم هو الأستاذ ساطع الحصرى مدير دار المعلمين فى تركيا، ووزير المعارف فى الشام، ومؤسس النهضة التعليمية فى العراق، ومنشئ أول مجلة تربيوية فى الشرق ، عالج فيه مسائل فى تعريف القواعد وتبويبها وترتيبها وتهذيبها لم يفطن إليها من قبله أحد . وهو يقدمها عن طريق الرسالة إلى معالى الوزير وسعادة الوكيل وأعضاء لجنة التيسير عسى أن يجدوا فيها ما يعينهم على ما نهضوا إليه من إصلاح القواعد العربية وتقريبها إلى عقول الطلاب . وفى رأينا أن ملاحظات الأستاذ ساطع جديرة بالاهتمام والنظر لصدورها عن لقانة نادرة وروية صادقة وخبرة طويلة

وزير المعارف يحكم بيننا وبين لجنة انهاض اللغة العربية

تفضل صاحب المعالى هيكل باشا وزير المعارف فنظر فيما كتبناه ونشرناه عن افتيات لجنة إنهاض اللغة العربية علينا وعلى فريق من الأدباء الفضلاء لا تخشاهم ولا ترجوهم ، ثم أمر بتقرير كتابنا (فى أصول الأدب) لطائفة من مدارس الوزارة . وسنبيع الأستاذ هيكل باشا هو الفرق بين وزير يقرأ ويقضى ، وبين وزير آخر يسمع ويمضى . . .

حول انهاض اللغة العربية

حضرة الأستاذ الجليل صاحب مجلة الرسالة

لا أحسبكم قد فرغتم من الحديث عن إنهاض اللغة العربية فى مدارس الحكومة حين فرغتم من الحديث عن الكتب وطريقة اختيارها ، فإن شأن اللغة العربية فى وزارة المعارف خليق بأن ينال من عنايتكم أكثر من ذلك . ولقد حمدنا لكم ما نشرتم من الملاحظات على لجنة اختيار الكتب ، وإننا ليسرنا بجانب ذلك أن تظل الرسالة حاملة راية الأدب الحر ، دائبة على إنارة السبيل أمام القائمين على شئون اللغة العربية فى وزارة المعارف . فلقد مضى الوقت الذى كانت فيه وزارة المعارف تعمل منفردة فى الميدان ، لا تجد من يشد أزرها أو يناقشها الحساب أو يهديها السبيل . وليس من أحد غير الرسالة يستطيع أن يفرض على نفسه هذا الواجب أو يرى نفسه أهلا لهذا الحق .

كان مما قررته لجنة إنهاض اللغة العربية أن تزيد درسين فى كلتا السنتين الأولى والثانية أحدهما اختيارى ، ودرساً واحداً فى باقى الفرق . فهل يعلم سيدى أن هذه الزيادة قد انتهت نهايتها إلى أن تكون من أسباب ضعف اللغة العربية فى مدارس الحكومة بدل أن تكون من وسائل إنهاضها وقوتها ؟

ذلك أن وزارة المعارف حين زادت هذه الدروس لم تحسب حسابها فتزيد عدد المدرسين ليقوموا بهذه الزيادة ؛ والمدرسون القائمون بالعمل الآن فى المدارس الثانوية لا يسعهم — على ما هم فيه من رهق ومشقة وزحمة فى العمل — أن ينهضوا بهذا العبء الجديد . وقد جاء موسم العمل وليس فى المدارس حاجتها من مدرسى اللغة العربية ، فلم يجد نظار المدارس أمامهم وسيلة — والحالة هذه — إلا أن يزيدوا العمل على المدرسين الذين يعملون معهم — مدرسى اللغة العربية خاصة — : ثلاثة دروس فى الأسبوع على كل مدرس ؛ فعليه منذ اليوم واحد وعشرون درساً فى الأسبوع ، بعد ثمانية عشر درساً كان يشكو كثرتها التى تستنفد الوقت والعافية والطاقة العصبية ، فليس له معها فسحة ليستجم لعافيته أو ليجدد مادته أو ليبتكر فى وسائله

أفتكون هذه وسيلة من وسائل النهوض باللغة العربية أم سبب من أسباب الضعف والخذلان ؟

وثمت عبء جديد أضيف هذا العام على كاهل مدرس اللغة العربية ، ذلك أن النظام فى العام الماضى والأعوام السابقة كان يحدد عدد التلاميذ فى دروس اللغات ببضعة وعشرين تلميذاً فى كل شعبة فألغى هذا النظام فى العام القادم وصار على مدرس اللغة العربية أن يلقى درسه على أكثر من بضعة وثلاثين تلميذاً إلى أربعين ؛ فهل تراه مع ذلك يستطيع أن يعمل وأن ينشط وأن ينهض باللغة ؟

ثم إن كثيراً من نظار المدارس الثانوية قد تعجلوا الحكم والاختيار فاستغنوا عن درس من الدرسين المزيدين فى اللغة العربية لتلاميذ السنتين الأولى والثانية قبل أن يتحققوا الحاجة إلى هذا الدرس ، بل قبل أن تبدأ السنة الدراسية وينتظم التلاميذ

والخلاصة ما يأتى :

ا — أوصت اللجنة بزيادة دروس اللغة العربية فزيدت ولكن على حساب المدرس المرهق بحيث يصير عمله لا خير فيه

ب — أوصت اللجنة بزيادة العناية بدروس اللغات فزيد عدد تلاميذ الفرق بحيث يجتمع على المدرس كثرة لا يستطيع معها أن يعرف تلاميذه

حـ — زادت الوزارة بعض دروس اللغة العربية زيادة اختيارية ، فألغى نظار المدارس الثانوية بعض هذه الزيادة قبل أن يتحققوا الحاجة إليها رغبة فى التخفف من العمل !

... وأخيراً ما زالوا يتحدثون عن الوسائل التى قدروها للنهوض باللغة العربية ، وما زالوا يكررون الحديث عن تنظيم المكتبات المدرسية ، وتوجيه التلاميذ إلى المطالعات الخارجية ، وإنشاء المحاضرات ، وإقامة المناظرات ، وترتيب المباريات بين الطلاب فى الكتابة والخطابة والمناظرة والالقاء ... ولا عليهم فيما يتحدثون وما يقدرون ، وما ننكر أن هذا الذى يتحدثون عنه من أنجح الوسائل فى تقويم اللسان وتقوية اللغة ، ولكن ... أين هو المدرس الذى يجد عنده الوقت الذى ينفقه فى ذلك ؟

نحن موقنون تمام اليقين بصدق نية معالى الدكتور هيكل باشا على النهوض باللغة العربية ، موقنون أنه قد أدى واجبه فى ذلك على الوجه المستطاع ؛ ولكن مازال أمام معاليه واجب آخر هو أثقل عبئاً وأكثر نفقة : أمامه أن يباشر تنفيذ الوسائل التى وضعها مستشاروه لينهضوا باللغة العربية ؛ فليست تغنى النية عن العمل ، وليس يكفى وضع البرامج وتمهيد الخطط دون العناية بوسائل التنفيذ . ولربّ عمل صالح أسلمه صاحبه إلى من لا يحسنه أو من لا يخلص له ، فأداه غير مؤداه وانتهى به إلى غير غايته

(مدرس)

مجمع المعارف بحيدر آباد (دكن) واجتماعه السنوى الأول

فى حيدر آباد (دكن) مجمع علمى أسسه منذ أكثر من نصف قرن المرحوم النواب عماد الدين ورفقاؤه ، وغايته الأساسية إحياء الكتب العربية القديمة تمهيداً لنشرها وتداولها بين طبقات العلماء . وهذا المجمع يمتاز عن غيره بروحه العلمية وبمطبوعاته الثمينة المتداولة بين أوساط العلم المعتمد عليها من رجال البحث والتحقيق الآن — ومن هذه المطبوعات ما يتعلق بالحديث والرجال ، وما يتعلق بالفلسفة والتاريخ ، وما يتعلق بالطبيعيات والطب وغيرها من العلوم والفنون — ويقول العلامة السيد سليمان الندوي : نحن ، أهل الهند نفتخر ، مع افلاسنا العلمى فى هذه الأيام ، بهذه الدرر الثمينة النادرة التى أخرجها مجمع المعارف فى (حيدر آباد) إلى طبقات العلماء ونرجو أن يعود إلينا مجدنا العلمى تحت ظل الدولة الآصفية .

ولقد فكر القائمون بأمره فى عقد اجتماع سنوى عام يدعى إليه العلماء الممتازون فى العلوم العربية بأنحاء الهند تنشيطاً للحركة العلمية وتمهيداً لتوسيع أعمال المجمع بالاستفادة من مواهب العلماء الأجلاء غير أعضاء المجمع فى البحث والتحقيق، فانعقد الاجتماع الأول الذى دام أربعة أيام من ٩ إلى ١٢ يولية سنة ٩٣٨ م فى خمس جلسات أولها فى إيوان البلدية الفخم حضرها أركان الدولة الآصفية وأساتذة العربية فى جامعات الهند المختلفة وأرباب العلم وجماعة من الطلبة النابهين ، وعلى كرسى الصدارة السر اكبر حيدرى الوزير الأعظم . ثم التمس من القارىء ابراهيم رشيد أن يتلو ما تيسر من القرآن بصوته الرخيم ، ثم ألقى خطبته الافتتاحية وذكر فيها خدمات المجمع فى السنين الماضية بعد أن تلا على الحاضرين رسالة ملكية آصفية مفعمة بالعبارات الرقيقة والعواطف السامية .

فقام النواب مهدى يارجنك وزير التعاليم والسياسات

ورئيس المجمع فألقى خطبة بلسانه المبين ذكر فيها غرض المجمع وغايته وما تم من الخدمات وما درج فى البرنامج من الأعمال التى يرجو أن يتمها المجمع بتوفيق الله ومساعدة العلماء – وبعده ألقى مولانا عبد الله قصيدة عربية تخليداً لهذا الاجتماع العظيم واليوم المبارك

ثم انعقدت الجلسة الثانية فى اليوم التالى وكان الشيخ ابراهيم حمدى، شيخ الاسلام بالمدينة المنورة، النزيل بحيدر آباد الآن، حاضرا، فتفضل بتلاوة آيات من القرآن على النغمات الحجازية. ثم اقترع على من يكون أول المتكلمين في الجلسة فاستخرج بطريق القرعة اسم العلامة السيد سليمان الندوي فقام وألقى بحثا مستفيضا عن «كتاب المعتبر» وهو كتاب غير مطبوع للفيلسوف أبى البركات البغدادى الذى عاش فى القرن السادس الهجرى، وألف كتابه هذا فى نقد فلسفة أرسطو ومنطقه وهو كتاب وحيد فى بابه فريد فى فنه، ثم تكلم الأستاذ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى الذى حضر إلى مصر فى السنة الماضية لطبع سمط اللآلى، ثم سافر إلى دمشق واستنبول باحثاً فى دور كتبها ومنقبا فى خزاناتها فرجع بكثير من المعلومات عن النسخ والكتب، وكان موضوعه «مارأيت فى دور الكتب بالممالك الاسلامية» وذكر أهمية دار الكتب باستنبول والكتب النادرة فيها. وبعده قام السيد مناظر أحسن الجيلانى رئيس الشعبة الدينية بالجامعة العثمانية، فتكلم عن فلسفة محيى الدين بن عربى وابتدأ بكلام عن تخلص المجتهدين الفقهاء من تصرف الملوك فى تدوين الفقه وانتقالهم إلى الأندلس وسبب انتشار المذهب المالكى فيها، ثم شرح فلسفة ابن رشد وأسس بحثه، ثم بيّن كيف خالفه محيى الدين بن عربى فى المسائل الفلسفية وحملاته عليه حتى انتهى إلى وحدة الوجود، فاذا هى فلسفته الخاصة

ثم كانت الجلسة الثالثة فى قاعة المحاضرات بالجامعة العثمانية وكان أول من تكلم الدكتور داؤد بوتاء أستاذ العربية بالكلية الاسماعيلية (بومباى) وموضوعه فلسفة ابن خلدون الاجتماعية وكانت المقالة طريفة مصحوبة بالمقارنات والانتقادات، والدكتور المذكور يقوم الآن بترجمة مقدمة ابن خلدون إلى اللغة الانكليزية، وبعده تكلم الشيخ عبد الرحمن عضو مجمع المعارف فى علم أسماء الرجال وأهميته، ثم ألقى الدكتور حميد الله أستاذ أصول الفقه والقانون بالجامعة العثمانية، بحثاً مستفيضاً عن «دستور الدولة فى العهد النبوى» (هاجر رسول الله إلى المدينة وعقدت معاهدة بين المسلمين واليهود) فجمع الدكتور المذكور أجزاء هذه المعاهدة وشرحها شرحاً وافياً واستنبط منها العناصر الأساسية لدستور الدولة. ثم تكلم السيد أحمد الله الندوى عضو مجمع المعارف فى «علم صناعة الجراحة وشرح آلات الجراحة عند العرب. وفى ختام هذه الجلسة قام الدكتور عبد الحق وألقى كلمة فى موضوع «حاجة الهند إلى المجمع العربى»

وفى هذه الجلسة ألقى الدكتور حسين الهمدانى أستاذ العربية بكلية استيفن بومباى بحثاً عن «كتاب الرياض لأحمد الكرمانى» وكان أحمد هذا اسماعيلياً متكلما فيلسوفا عاش فى القرن الثالث الهجرى وكان معاصراً للفارابى، وأما الدكتور الهمدانى فكان أصله من اليمن، ويعتبره علماء الهند أعلم العلماء بالاسماعيليات، وهو أول من عرّف العالم العلمى بالكتب الاسماعيلية وقد أشار فى بداية كلامه إلى تاريخ الأدبيات الاسماعيلية؛ ومقالته مفعمة بالمعلومات الجديدة التى كانت مجهولة من العلماء. ثم ألقى مولانا عبد الله العمادى بحثاً فى «علم المرايا والمناظر لابن الهيثم» وبعده تكلم العلامة مأمون الأرزنجانى من علماء دمشق، فى مناهج التعليم العربى، مشيراً أثناء كلامه إلى كتب القواعد والمطالعة التى وضعت على قاعدة جديدة للمدارس بالشام.

وبعده قام الفاضل المولوى عبد القدوس الهاشمى المساعد فى ترتيب معجم المصنفين وألقى بحثا فى «كتاب المخترع فى فنون من الصنع» ومؤلف الكتاب لا يزال مجهولاً، غير أن النسخة التى توجد فى دار الكتب الآصفية كتبت فى سنة ٨٧٦ هـ فى الهند بقلم ضياء ترك القاضى خان الناخورى. وللكتاب أهمية فيما يتعلق بفنون الصناعات الاسلامية العربية ومناهج الصانعين فيها. ثم تكلم الأستاذ امتياز على، مدير دار الكتب برامبور فى «تفسير الامام سفيان الثورى» ومن هذا الكتاب نسخة بدار الكتب المذكورة وأشار فى بحثه إلى أن المسلمين أول ما خدموا من العلوم علم القرآن وأول ما كتبوا من الكتب فى فن التفسير.

وفى الجلسة الأخيرة تكلم الشيخ شبير احمد ناظر دار العلوم الديوبندية ورئيس المدرسين بجامعة دابهيل فى موضوع «الوحى معصوم عن الخطأ» واقترح على مجمع المعارف الالتفات إلى علوم

القرآن ونشر الكتب فى فنونها . ثم ألقى مولانا عبد الرحمن أستاذ العربية بجامعة دهلى بحثا فى « المستشرقين » من حيث التاريخ والخدمات العلمية ومعايبهم . وأخيراً قام الدكتور زبير الصديقى رئيس الشعبة الاسلامية بجامعة كلكته متكلما فى « علم الحديث وخصوصياته » من حيث الاسناد وطرق المحدثين فى البحث وعدم خضوعهم لسلاطين الزمان واستقلالهم العلمى واشتراك النساء فى الرواية ، وهذه هى الخصوصيات التى قد حافظت ولا تزال محافظة على جوهرية الأحاديث من عبث المستشرقين بها كما فعلوا فى أكثر الوقائع التاريخية الاسلامية كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

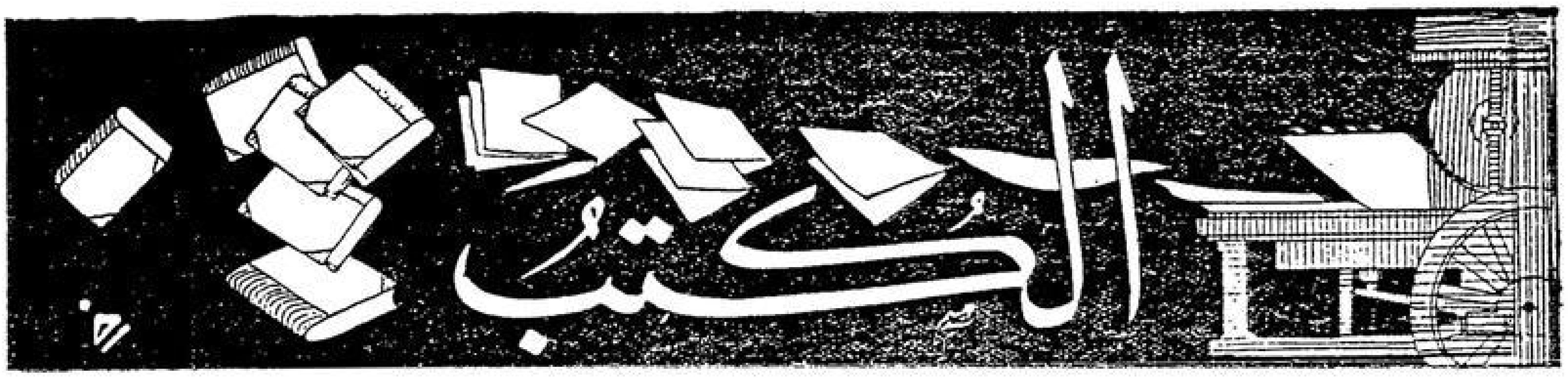
واختتم هـذا الاجتماع الذى دام أربعة أيام فى حيدر آباد وتناول البحث فيه أهم موضوعات العلوم العربية وفنونها ، بالسلام لصاحب الجلالة آصف السابع ملك دكن والدعاء لذاته الكريمة

بدر الدين الصينى

تكريم الأستاذ قسطاكى بك الحمصى

أقام أدباء الشهباء حفلة تكريمية للأستاذ قسطاكي بك الحمصى مساء يوم الأحد ٤ سبتمبر سنة ١٩٣٨ بمناسبة بلوغه الثمانين من عمره وتنويهاً بمآثره وخدماته فى عالم الأدب . وكانت الحفلة تحت رعاية معالى الأمير مصطفى الشهابى وزير المعارف سابقاً ومحافظ حلب اليوم . وقد تكلم في الحفلة الأساتذة عيسى اسكندر المعلوف، وأمين هلال، والشاعران عادل الغضبان، وحليم دموس وألقى الأستاذ أسعد الكوزانى كلمة عن أسلوب المحتفى به فى الكتابة النثرية سننشرها فى العدد القادم . وقد ألقى فى ختام الحفلة الأمير مصطفى الشهابى كلمة قال فيها إن هذه الحفلة قد ذكرته بأسواق العرب الأدبية ، وتكلم عن فضل النصارى على اللغة العربية ، ونوه بالخدمات الجليلة التى قاموا بها فى هذا السبيل، وأشاد بفضل المحتفى به ومآثره فى عالم الأدب

والأستاذ قسطاكى بك الحمصي من أوائل الأدباء الذين قاموا بخدمة اللغة والأدب منذ ستين عاماً ، ولا يزال حتى اليوم على شيخوخته يقوم بخدمتها بالمقالات والأبحاث التى ينشرها فى مختلف المجلات والصحف . وقد أقام بمصر فى أوائل هذا القرن مدة طويلة اتصل خلالها بأدبائها ولا سيما الشيخ ابراهيم اليازجى الذى كان له أثر بارز فى أدبه وأسلوب كتابته . وله من المؤلفات المطبوعة كتاب (منهل الوراد فى علم الانتقاد) وهو يقع فى ثلاثة أجزاء طبع الجزء الأول منه فى مصر سنة ٩٠٥ ، وطبع الجزءان الأخيران فى حلب بعد الحرب العظمى. وله كتاب (أدباء حلب ذوو الأثر في القرن التاسع عشر) ترجم فيه للأدباء الحلبيين الذين عاشوا فى هذا القرن ولهم أثر من شعر ونثر



وحى بغداد

للدكتور زكى مبارك

يظهر فى الأسبوع المقبل كتاب جديد للدكتور زكى مبارك اسمه « وحى بغداد » وإلى القراء فاتحة هذا الكتاب

أما بعد فقد كتب الله تباركت أسماؤه أن يجعلنى من الموفين بالعهد : فأخرجت كتاب « ذكريات باريس » تحية لمدينة النور التى اتصلت بها نحو خمس سنين ، واليوم أخرج كتاب « وحى بغداد » تحية لمدينة الرشيد التى اتصلت بها نحو تسعة أشهر قضيتها فى يقظة عقلية أوحت إلى قلمى ألوف الصفحات

وكنت نظرت فرأيت كتاب « ذكريات باريس » أوحى إلى فريق من الكتاب أن ينشئوا المؤلفات عن العواصم الغربية أمثال باريس ولندن وبرلين ، وأنا اليوم أرجو أن يكون كتاب « وحى بغداد » سنّة حسنة لمن يعيشون فى العواصم الشرقية عساهم يحببون العرب والمسلمين فى بلادهم بما يبتكرون من شائق الوصف ورائع الخيال

وقد عجب ناس من وفائى لأهل العراق واهتمامى بتسجيل ما لهم من محامد ومناقب ، وكنت أستطيع أن أقول إنى عشت فى العراق معلماً ، ومن واجب المعلم أن يبرز المحاسن ليقوّى الروح المعنوى فى تلاميذه ويسوقهم إلى ميادين الجهاد . كنت أستطيع أن أقول ذلك ، ولكنى فى الواقع لم أر من أهل العراق غير الشهامة والنبل والوفاء؛ ويسرنى ويشرح صدرى أن أقول كلمة الحق فى تحية من يعيشون فى أنس بزهرات بغداد ونخلات البصرة وسمكات الفرات

وسيأتى يوم يعذرنى فيه من اتهمونى بالإسراف فى حب البلاد التى عرفت بكاء الحمائم وظلام الليل

سيعرف إخوانى فى مصر أنى بنيت لهم صرحاً من الوداد فى وطن نبيل هو العراق

سيعرف إخوانى أن غيرتى على سمعة العراق ستضاف إلى المحامد المصرية ، وسيقول المنصفون إن المصرى حين يغترب لا ترى عينه غير الجميل من شمائل الرجال

وهل كنت أملك أن أذكر العراقيين بغير الثناء ؟ لقد نُظِمَتْ فى تكريمى هناك قصائد وخطب ومقالات لو جُمِعَتْ لكانت مادة كريمة لكتاب نفيس ، فبأى وجه ألقى الله إذا ذكرت العراق بغير الجميل ؟

كنت أعرف أن أيامى قصيرة فى العراق فتجشمت ما تجشمت لأزور أشهر الحواضر العراقية ، فكانت فرصة عرفت فيها كيف يلتاع من يفارق حواضر العراق ؟

يا ليت ماء الفرات يخبرنا   أين استقلت بأهلها السفنُ

ولا يعلم إلا الله كيف رحلت عن البصرة والحلة والنجف والموصل وكركوك وكربلاء

لا يعلم إلا الله كيف أخفيت يوم الفراق عن أصدقائى فى بغداد

لا يعلم إلا الله كيف أخفيت نيتى عن تلاميذى فلم أخبرهم أن التسليم عليهم يوم الرحيل هو آخر العهد

لا يعلم إلا الله كيف انخلع قلبى وأنا أنظر إلى دار المعلمين العالية آخر نظرة ، وألقى عليها آخر سلام

وإذا كانت شواغلى بمصر قضت بأن أعتذر عن المضىّ فى خدمة تلاميذى بالعراق فسأتعزى عن فراقهم كلما تذكرت أنى أوقدت فى صدورهم جذوة لن تخمد أبداً ، وسيصيرون بإذن الله من أشرف خدام العراق

والعهد بينى وبينهم أن نقضى العمر كله أوفياء للحق والواجب ، وألا نرى المغانم فى غير طهارة الضمائر وسلامة القلوب

هذا كتاب أوحته بغداد ، وفيه ما فى جوّ بغداد من طغيان الرفق والعنف ، وصولة العقل والفتون

هو كتاب سيُرقم على وجه الدهر وجبين الزمان

هو كتاب سيسعد به قوم ويشقى به آخرون

ولكنه سيظل أثيراً لدى بغداد ، لأنه من وحى بغداد

زكى مبارك



ملاحظات وخواطر

حول ترقية الأفلام المصرية

تحدثنا فى الأسبوع الماضى عن ضرورة قيام الحكومة بإيجاد رأس مال مناسب يكون فى متناول المنتجين المصريين الذين تعوزهم النقود اللازمة لاكثار جهودهم ومواصلتها وأكدنا أن هذه هى أفضل الطرق لترقية الأفلام المصرية والأخذ بيد صناعة السينما فى مصر . وقلنا كذلك : « إن هناك ناحية أخرى على اللجنة أن تنظر فيها وتعمل على التخلص منها ما دامت تريد نهضة جدية للأفلام فى مصر ، وهذه الناحية هى جمود اللائحة التى تعمل بها وزارة الداخلية الآن فى صدد ما يجوز معالجته وما لا يجوز معالجته فى الأفلام من الموضوعات فى مصر »

ونسجل على هذه الصفحة بضعة خواطر وملاحظات لنا على هذه اللائحة فنقول : إن هذه اللائحة تتناقض تناقضاً بيناً مع القانون الأساسى للبلاد وهو الدستور ، وإذا كانت الحكومة قد ظلت مشغولة إلى عهد قريب بالقضية الخارجية ، فقد آن الأوان لأن تراجع هذه اللائحة وتحذف منها ما لا يتفق مع هذا الدستور . فقد كفل هـذا الدستور حرية القول والتأليف والكتابة والاعتقاد فى حدود مبادئ القانون العام وهى ألا يكون فى ذلك القول أو التأليف ما من شأنه تقويض النظام القائم أو المناداة بمبادئ خطيرة أو ما يمس الآداب العامة أو الشرف الخصوصى للأفراد والعمومى للدولة وتاريخها ورجال تاريخها . ونعتقد نحن أن فى استطاعة قانونى كبير كبدوي باشا أن يضع لنا لائحة جديدة على أساس مبادئ دستورنا فيما لا يزيد على يوم وليـلة ! حتى لا تعارض وزارة الداخلية بعد الآن فى فلم وطنى أو سياسى أو فلم يدور حول فتاة لقيط مثلا — كما حدث منذ عامين

روزالى ... فلم الافتتاح لسينما ستوديو مصر

افتتح استوديو مصر يوم الاثنين الماضى دار العرض الجديدة التى رأى أن تتخصص لعرض منتجاته على أن تعرض أفلام المترو جولدوين بجوار أفلام الاستوديو . ولسنا فى حاجة إلى أن نقول إن حفلة الافتتاح كانت فريدة فى بابها ونادرة بين حفلات الافتتاح ، ويكفى أن نقول إن جميع ذوى وذوات المكانة من أهل الطبقات الراقية والمثقفة وممثلى وممثلات السينما والمسرح وجميع ممثلى الصحف المصرية العربية والأفرنجية كانوا حاضرين فى هذه الحفلة احتفالا بهذه الخطوة الجديدة الموفقة التى يخطوها استوديو مصر ولمشاهدة أحـد أفـلام الدرجة الأولى للمتروجولدوين ماير فى الموسم الحالى وهى رواية (روزالى) أو الأميرة الراقصة من تمثيل (الينور باول) و (نلسون إدى) ، والفلم كوميدى غنائى راقص ملىء بالمواقف اللطيفة المسلية

فتهانينا لبنك مصر واستوديو مصر وقسم الانتاج فى استوديو مصر ، ونأمل أن تتبع هذه الخطوة خطوات نرى بعدها عدداً من دور السينما الكبيرة مصرياً فى كل شىء ، وليس ذلك كثيراً على بنك مصر ومديريه الأفذاذ وسعادة الدكتور فؤاد سلطان بك مدير شركة مصر للتمثيل والسينما

خبر سابق لأوانه

أكد لنا أحد كبار ممثلى الفرقة القومية أن كل ما ذكرته الصحف عن مسرح حديقة الأزبكية وعمل الفرقة القومية به إنما هو سابق لأوانه . والصحيح أن مفاوضات دارت بين إدارة الفرقة وإدارة ذلك المسرح ، ولكن هذه المفاوضات وقفت حتى يعود الأستاذ خليل مطران مدير الفرقة من أجازته بلبنان . ومعنى ذلك أن الدورة الأولى من موسم الفرقة ستكون فى دار الأوبرا الملكية كالمواسم السابقة

أخبار مسرحية وسينمائية

مترو جولدوين وتوفيق الحكيم



أبلغنا أحد أصدقائنا المتصلين بالكاتب القصصي الكبير الأستاذ توفيق الحكيم ، أن هناك مفاوضات بين شركة المتروجولدوين مايروالأستاذ توفيق الحكيم بخصوص روايه (عودة الروح) إحدى قصصنا الأدبية الكبرى . وأن هذه المفاوضات قد انتهت فعلا أو أوشكت على الانتهاء وقريباً نرى إحدى معجزات الحكيم الأدبية على الستار الفضى

والحق أننا لا ندرى هل نهنئ المتروجولدين مايرأم نهنئ كاتبنا الكبير بهذه الصلة السعيدة التى نأمل ألا تقتصر على «عودة الروح»

فلم جميل للموسم الجديد

ينتظر أن يكون موسم سينما ديانا عظيما هذا العام . وكفى دليلا ما قدمته لنا فى حفلة الافتتاح وهو فلم (فندق هوليوود) الفلم الغنائى الراقص الجميل

أجنحة الصحراء والرحلة الملكية

علمنا أن (اللقطات) الأخيرة لفلم أجنحة الصحراء ، وهو باكورة منتجات سالم تتم فى الأيام القليلة الباقية من هذا الشهر . أما موعد عرض الفلم فقد علمنا أنه سيكون فى أواخر النصف الأول من نوفمبر

وبمناسبة الحديث عن الأستاذ سالم نسجل له على هذه الصفحة نجاحاً كبيراً فى الشريط الناطق الذى أخرجته جريدته السينمائية للرحلة الملكية السعيدة إلى الصحراء الغربية ويكفى أن يكون عرضه على شاشة الرويال بعد يومين اثنين فقط من عودة جلالة الملك إلى الاسكندرية

شىء من لا شىء

عرضت نسخة كاملة من فلم « شىء من لا شىء » على حضرات أعضاء اللجنة الفنية فى استوديو مصر ، فوافقت عليه وأبدت إعجابها به ، واعترفت له بأنه من أقوى وأكبر الأفلام المصرية التى رآها الأعضاء حتى الآن . وسيعرض هذا الفلم بسينما استديو مصر فى الشهر القادم